المشرق
السنة الحادية والثلاثون
تموز ١٩٣٣

الحياة في بيروت قبل الاسلام *

بقلم الاب لامنس اليسوعي

١

انه لعملٌ صعبٌ دقيق ان يفيض الانسان في مدح الاشخاص الاحياء. فان «الجمال، كما يقول الكتاب المقدّس، يذوي كزهر الحقول.» وليس اقل من ذلك صعوبة وجرأة ان يقوم بالثناء على المعاصرين. ولهذا ينصح لنا الكتاب الكريم بان ننتظر ريثما تكون الابدية قد خلّدت اولئك الاشخاص. والحال ان بيروت، موضوع بحثي اليوم، كائن حيّ دائم حتى ان الجغرافي الكبير اليزي ركلو لم يتردّد في ان يمنحها شهادة الدوام غير المنفصم فقال ان بيروت من المدن التي يجب ان تعيش، وانها لتعيش مهما تقلّبت الاحوال.

على انني تجنُّباً للاتهام بالتزلّف، وتبعاً لنصائح الكتاب الكريم، ساحصر

*) محاضرة القيت في كلية القديس يوسف

كلامي في العصور الماضية . واذاً فستكون بيروت التي سأجتهد في اطلاعكم على شيء من مظاهرها ، تلك المدينة القديمة النائمة آثارها تحت ارضنا هذه . واني ارغب اليكم في ان تقطعوا معي حاجز التاريخ الهجري الذي يفصلنا عن مدينتنا القديمة ، واذا بنا امام تلك الجدة الجميلة المقاطع ، على شيخوختها ، الجذابة القسمات ، وقد زانتها التراويق الرومانية والبيزنطية . فقفزة واحدة تردنا اكثر من ثلاثة عشر قرناً الى الوراء ، واذا بنا في « بيروت السعيدة مستعمرة جوليا اغوسطا » ، في بيروت يوستنيانوس ، في بيروت الشهيرة بمدرستها الحقوقية الحافلة بالاساتذة الذين دعوا من « معلمي المسكونة » والذين اعدّوا مجموعة الحق الروماني .

***

ولا يؤخذنّ من كلامي اني خصصت هذه الحقبة بالذكر ، لعدم وجود الشواهد على محاسن بيروت العثمانية . فان احد زملائي بالرهبنة من اهل القرن السابع عشر ، وهو الاب بسّون (P. Besson) ، يؤكد في كتاب عجيب خصّه « بسورية المقدّسة » ان تجار الفرنجة في سورية ، على عهده ، كانوا يدعون بيروت « باريس الموارنة الصغيرة » . ولكن باريس هذه ظلّت صغيرة ، فلم تتقدم قيد شعرة على مدة قرنين كاملين . يظهر هذا من تلك الصورة التي رسمها لبيروت الرحالة بوجولا سنة ١٨٣١ فقال : « قبب ومنافذ سريّة ، ومجازات مظلمة ، واسواق ضيّقة ذات تعاريج . كل منزل فيها يكوّن شبه حبس مظلم لا يوصل اليه ، ولاسيا في الحيّ الاسلامي . »[1] ولا شكّ ان من ترتقي تذكاراتهم الى ما وراء اربعين سنة من سكان بيروت الحالية يعرفون في هذه الصورة بعض الخطوط الحقيقية للمدينة القديمة . ولم تمرّ سنة على وصف بوجولا حتى وصل لامرتين الى بيروت ، سنة ١٨٣٢ ، فأخذ منذ يومه الاول ، لا بالمدينة بحصر المعنى ، بل بما سنحدّده قريباً بمحاسن فنيقية . وهو يؤكد ان الرومانيين ألهموا حقًّا اذ دعوا بيروت بالسعيدة (Felix) . ويزيد ان بيروت استحقت ذاك اللقب

(١ *Correspondance d'Orient*, VII, 70

« لمناخها الذي لا يقابله مناخ ، ولمركزها الفائق الجلال . »

وقد قضى لامرتين بيننا عدة اشهر كأنه في حالة وجد دائم ، او في حلم نوراني لم يقطعه الا وفاة ابنته الوحيدة جوليا . وليحكم المطالع على هذه الحالة بقراءة المقطع التالي المأخوذ من « رحلته الى الشرق » : « ذهبت ، هذا الصباح ، هائماً على القمة التي يدعوها الروم مار ديمتري . . . وكنت في صغري كثيراً ما اتخيل هذا الفردوس الارضي ، عدن هذه التي لا تزال في تذكارات الامم كلها كأنها حلم جميل ، او تقليد راقٍ الى زمن اتمّ وحالة اوفر كمالاً ، وقد تبعتُ ملتون في اوصافه الخلابة لهذا المكان السحري الذي اقام فيه ابوانا الاولان . ولكن هنا ، كما في كثير من الامور ، ارى انّ الطبيعة تفوق المخيلة بما لا يُقاس . ولم يعطِ الله الانسان ان يحلم بكل ما صنعه من الجمال . لقد حلمت بجنة عدن ؛ اما الآن فيمكنني القول انني رأيتها . »

هذا ولا اخال احداً منكم يجهل الحادثة المروية في سفر استير . وكيف ان الملك احشورش ، بعد ان خلّصه مردخاي من الموت ، سأل رجال بلاطه عن الجائزة التي اعطوها المخلّص . فكان الجواب انهم لم يعطوه شيئاً . ولولا الحفلات التي اقيمت مؤخراً تذكاراً للامرتين ، لكان جوابنا يقرب من جواب احشورش . ومهما قمنا بشكر لامرتين ظلّ ذلك قليلاً بالنسبة الى الاعلان المجاني المجرّد الذي عرّفنا به الى قرّاء تآليفه وهم كثيرون . لقد قامت بلديتنا في ما مضى بتسمية شارع باسم « شارع الشعر » ، وهو « شارع هوتلّن » الحالي . على ان الشعر يدعو اسم شاعر خاصّ . فلماذا فُضّل فيكتور هوغو على لامرتين فخصّ به احد شوارع بيروت ، وليس في تآليفه الضخمة ذكر واحد لمدينتنا ، بينا نرى لامرتين لا يبدع في وصف بيروت فحسب بل يجمل في مدينتنا الفردوس الارضي .

وهاكم ، بعد ذكر الشاعر ، ذكر كاتب وصّاف مرّ في بيروت ، سنة ١٨٥٠ ، مرافقاً فلوبير ، مؤلف سالامبو . وهو ايضاً قد تأثر بجاذبية بيروت . واليكم ما يقول عنها : « ان كونكا دورو لحسنة في بالرمة ، وان خليج نابولي لجميل ؛ اما بيروت فلا مثيل لها . لا المدينة نفسها ، وهي فقيرة لا عظمة فيها ، بل

البرّية التي تحيقها، غابة الصنوبر، الطرقات التي تحيط بها اغراس الصبار، والآس، والرمان حيث تتراكض (كذا) انواع الحرباء[1]، بل مشهد البحر المتوسط، ومنظر قمم لبنان الشجراء. وقد رسمت على اديم السماء خطوطها الدقيقة الواضحة. هي عزلة نافعة ورياضة روحية لمن رغبوا في التأملات، او خدعتهم الآمال، او جرحهم الوجود. يظهر لي ان الناس يمكنهم هناك ان يعيشوا سعداء. اذا ما اكتفوا بالنظر الى الجبال والى البحر. وكم من مرة، في ساعاتي المؤلمة، حلمت بدافع يحملني على ان التجئ الى هنا فادخل تلك الطمأنينة التي توليها مشاهدة الطبيعة.» على ان ما يفسد، وان قليلاً، هذا الوصف اللذيذ، هو تلك النبرة الضجرة القانطة التي يزيدها الكاتب الباريسي فيقول: «اظن اني لو اقمت هاهنا لكنت اموت ضجراً، اقول هذا اذ أرى السرعة التي تدفع التجار الاوربيين الى اختطاف الرسائل القليلة الواصلة بالبريد.»

***

ولكن لنعد الى بيروت القديمة، او بيريت، مستفيدين من هذه الشواهد ان حسن بيروت الفائق الدائم يستند خصوصاً الى مركزها العجيب، في وسط فنيقية، على ساحل لبنان، حيث يتحد الجمال الساحر بين السماء والبحر والجبال. وهو ما يُستفاد ايضاً من قول اميان مرسلّان السوري، آخر مؤرخي السلاتين المشاهير، اذ يصف فنيقية فيقول عنها: «فنيقية مستندة الى جبل لبنان، وهي ارض ملأى بالبهجة والحسن.» هذا التضادّ العجيب في المشاهد الفنيقية اذ يتقابل البحر والجبل، وهذا السكون الهادئ في الحقول الممزوج بضجة الحياة البحرية وصخبها، هو ما وصفه ننوز (Nonnos) شاعر عصر الانحطاط البزنطي الذي سوف اكثر الشواهد من شعره في ما بعد. وهو يقول: «في هذا المكان ينفخ راعي البقر في شبّابته على شاطئ البحر المرمل، فيجتمع بالنوتي؛ كما يجتمع راعي الماعز والصياد اذ يجرّ شبكته من بين المياه. يخطّ المحراث تلمة، فيصل بها

١) وهو يريد صنّار الوزغ لان الحرباء لا تركض

الى ملتقى المجـاذيف التي تشقّ الامواج . وفي وسط غابة قرب البحر يجتمع الملاحون فيتحادثون مع الحطّابين ، بينا يترافع هدير الميـاه ، وخوار الابقار ، وحفيف اوراق الشجر . مشهد الجبال والشجر ، والملاحة والغابة.» [1] وان هذا المشهد ليذكّرنا بمشهد آخر اقرب الينا جداً من وصف ننوز ، وهو الوصف الذي يبتدئ به الاخوان تارو كتابها في « طريق دمشق » ، واصفين سحر الجبال في فنيقية ، مستندين خاصة الى المقابلة والتضاد « بين البحر المتلألئ واوفر جبال العالم اخذاً وتأثيراً ــ هناك تتراكم الصخور الزرقـاء او البنفسجيـة ، والغابات والبساتين ــ والثلج يكلّل القمم مـدة طويلة من السنة . امـا الساحل فحيناً يستطيل قفراً من الرمـال والحصى ، وحيناً يرتفع شرفـةً على البحر المتوسّط ، وتارةً يؤلف ، بين الجبال التي لا تبعد عنه ، خلجاناً عميقة من المزروعات الخضراء ينبت فيها الزيتون والتوت والليمون والكرم وتتقدم حتى مجزر الموج بين القمح والشعير . . .»

جمال بيروت الفتّان غير المنفصل عن ساحل فنيقية وجبال لبنان ! فما قولنا في احلام رجال السياسة من ذوي الاخيلة المشؤومة الذين ارادوا ان يفصلوا مما جمعه الله في هذه الوحدة الساحرة ؟ اين لي شعر ننوز إذ يستوحي آلهة لبنان في بدء نشيده الحادي والاربعين فيصف جمال بيرُوه ، الهة الماء الحاملة اسم بيروت ! ولكن الآلهة ابعد من ان تجيبنا ، فلنسأل العلماء والمؤرّخين . قام احد علماء الالمان ، المدعو ستروخ ، منذ ثلاثة قرون فألّف اطروحة لاتينية بعنوان بيريتوس (*Berytus*) خصّها بوصف مدرسة الحقوق القديمة في مدينتنا . ولا تزال مكتبتنا الشرقية تحفظ نسخة من هذا الكتاب النادر الوجود . واذا اخذنا بقول صاحبه ، رأينا ان مؤسسي الجامعات لم يكونوا يضعون الحجر الاول الا بعد ان يقوموا ببحث دقيق عن جمال الموقع واخلاق السكّان . ثم يؤكد ستروخ بكل رزانة ، في ما خصّ مدينة بيروت ، انه لم يكن بامكان الالهة تيميس ، التي عاونتها

١) ننوز : ملخصه في ديونيسوس النشيد ٤٠ : الايات ٣٤٠ . . .

ميترفا نفسها مع جمهور الالاهات والبهجات ، ان تختار مشهداً اجمل ولا مكاناً اوفق .

وكانت تلك الجامعة الفقهيــة التي أنشئت في العصر الرومــاني ان لم نقل بعناية الامبراطورية الرومانية . على ان الاباطرة اظهروا عليها عطفاً خاصاً ، كما انهم عملوا دائماً على تعزيز بيروت في مختلف الاحوال . فكانت غاية سياستهم ان يحوّلوا المدينة الى مركز « روماني محض » ، كما يقول القديس غريغوريوس العجائبي . فانعم عليها الامبراطور اغسطوس بلقب « المستعمرة الرومــانية » ثم اعطاها « الحق الايطالي » ملحقاً ارضها بالارض الرومانية نفسهــا ، وهو شرف نادر جداً خارجاً عن منطقة ايطالية . وقد اقام فيها فرقتين من قدماء المحاربين . وما فتئ يعمل على تحسينها ، هو وخلفاؤه ، بانين فيها المراسح ، وميادين السباق ، والحمامــات ، والشوارع ذات الابواب والقناطر . وقـد زاد الملــك هيرودس وابناء اسرته في عدد هذه الآثار ، اذ رأوا انهم بهــذا الامر يفوزون برضى الامبراطور . ولا يسعنا هنا الّا ان نتساءل عمّا دفع روما الى اظهار ما اظهرته من العطف على مدينة بيروت ؟

لقد خصّ الاستاذ بول كولينه بتاريخ المدرسة الفقهية في بيروت كتاباً يعتبر خاتمة الابحاث في الموضوع . وهو يرى ان سبب تأسيس هذه المــدرسة ، وهي اقدم المدارس الفقهية واوسعها شهرة ، يعود « الى اهمية بيروت السيــاسية من حيث كونها مفتاح الشرق ، والى اهمية مرفأها الاقتصادية .» على اني اتردّد هنا في اتباع رأي الاستاذ العالم . فلم تكن بيروت من جهة الاهمية السياسية ومن جهة كونها مفتاح الشرق خاصةً ، لتقابل بانطاكية العاصمة السورية البــديعة ، المدينة الثالثة في الامبراطورية جمعاء . ثم ان الــدور السياسي الــذي كان يمثّله مرفأ بيروت على عهد الرومانيين كان دوراً ثنوياً لا يوازي في شيء اهمية مرفأ صور حيث كان يقيم دائماً حاكم فينيقية . وهنا لا بدّ من القول ان قرب جبال لبنان التي تكوّن عنصراً قوياً من عناصر بيروت الفتّانة ، لم يكن ليهيئ المدينة لتكون « مفتاح الشرق » او منفذاً للداخلية . وهو ما يظهر واضحاً لمن ينتبه للعقبات العديدة التي تقيمها سلسلتا لبنــان امام المواصلات بين ساحل بيروت

وداخلية البلاد . هذا ولست لانكر ما كان لبيريت من الاهميـة النسبية في السياسة والاقتصاد ، على انني لا اعتقد ان هذه الاهمية تكوّن السبب الوحيد في اختيار الرومان لها مجالاً لما اقاموا فيها من المؤسسات . بل ارى ان الامبراطور اغسطوس نفسه أُخذ بجمال الموقع وسحر المشاهد الفتانة . ومن الشواهد على ذلك لقب السعيدة (Felix) الذي الصقه بها . وان وجود الجوالي الرومانية ، وما كانت تتمتّع به المدينة من الامتيازات عملت على زيادة ازدهارها حتى تحوّلت مدينتنا الى جزيرة لاتينية محضة في هـذا البحر الطامي من اليونانيـة الشرقيـة . فكانت بيريت رومةً صغيرة حافلة بمدارس الغراماطيق اللاتيني والفصاحة اللاتينية ، مخرجةً ادباء كباراً رفعوا مدة قرنين كاملين لواء الادب اللاتيني بعد عهد اغسطوس . ولم يلبث سكان هذه المدينة الرومانية المتمتعون بالحق الايطالي ، وهم حفدا، الفنيقيين المشهورين بحذقهم واخذهم بالامور العملية ، ان شعروا بضرورة الاضطلاع بالشريعة الرومانية . وهكذا ، على ما نرى ، نشأت في اواخر القرن الثاني جامعـة الفقه الشهيرة ، فحملت اسم بيريت حتى اقصى اطراف الامبراطورية ، واضافت الى جمال فنيقيـة ولبنان جاذبيـة العلم الفقهي حتى كادت تحتكره نوعاً ما .

يشهد بذلك القديس غريغوريوس الثربتزي اذ يدعو بيريت « المدينة الشهيرة في فنيقية اللطيفة ، مركز الشرائع الرومانيـة .» وفي العصر نفسه نرى ذكر بيريت في « *Expositio totius orbis* » موصوفة بانها « مدينة وافرة الرغد فيها تعليم الحق اساس الفقه الروماني » . وكذلك قول ليبانيوس الخطيب الانطاكي الذي يدعوها « مدينة فنيقية الفائقة الاناقة » و« الفائقـة الجمال » و«الكليـة الجمال » . وهكذا سُنّت الطريق لجميع من كتب عن بيريت بعد هؤلاء ، حتى اصبح من المقرّر التقليدي انه كلّما ذكر اسم بيريت أُردف بنعت مرادف للجمال او الحسن او الاناقة او الظرف او ما شاكل ذلك بصيغة المبالغة او التفضيل . قد تقولون ان هذا من تأثير الاسلوب البيزنطي في المبالغـة . ونحن لا ننكر ذلك . ولكن نلاحظ انه ما من مدينـة اخرى في الشرق الادنى نالت مثل هذه النعوت . ومن الضروري ان نلفت النظر لشهادة الخطيب ليبانيوس المتضلع

من الثقافة اليونانية . فانه بينا يذكر محاسن مدينتنا ، يحتج بقوّة على ما تقوم به من جذب الشبية الدارسة الى معاهدها ، حتى ان طلاب انطاكية انفسهم كانوا يقصدونها ، فيحدثون الفراغ حول منبر الاستاذ الخطيب . فهو يقرّع اعضاء مجلس الشيوخ في انطاكية قائلًا : « كيف لا تشمئزّون اذ ترون ابناءكم يركبون البحر كل سنة الى مدينة بيريت ؟ لقد قُضي على البلاغة وعلى اللغة اليونانية . حتى لم يبقَ من جاذب اليوم الا لغة الايطاليين وعلم الشرائع . » ولا يخفى ما في هذه الحملة المخلصة من فوائد اذ تدلّنا على انه في اخريات القرن الرابع كان تعليم الحقوق ، في بيريت ، يلقى باللغة اللاتينية . وظلّت بيريت تتمتّع طويلًا بهذه الشهرة وبهذه النعوت ايضاً حتى اننا نرى اسمها في دستور الامبراطور يوستنيانوس مقروناً باعظم النعوت مبالغةً فهي « الفائقة الجمال » و« البديعة الحسن » وما شاكل *pulcherrima* » — «*splendidissima*» « *civitas* » — *pulcherrimum oppidum* » ـــ يُضاف الى ما تقدّم تعابير وصفية من نحو « ام الشرائع » و« مغذية الفقه » وما الى ذلك مما نراه في وثائق الدولة وفي وثائق الكنيسة ايضاً . وهو ما يجعل جمال بيروت مذكورًا ذكر الحقائق الرسمية المقرّرة في منشورات الحكومة كقانون يوستنيانوس.

فلنرجع بالفكر قليلًا الى تلك الجامعة القديمة ، ولنشكر اساتذتها العظام الخالدين الذين دعوا بحقّ « معلمي المسكونة » . فبفضلهم دخلت مدينتنا في تاريخ العالم ، وبفضلهم حازت اكليل المجد والجمال.

(له صلة)

الصحّةُ والطبُّ في الكتاب المقدّس

بقلم الحكيم امين الجميّل

نشر الحكيم الفاضل الشيخ امين الجميّل كتاباً نفيساً باللغة الفرنسوية درس فيه كل ما ورد في الكتاب المقدّس من آثار عِلمَي الصحة والطب ، فأتى فريدًا من نوعه . وقد رغبنا الى المؤلف الفاضل في ان يتحف قرّاء « المشرق » بملخّص كتابه فأرسل الينا البحث التالي :

١

ليس أفيَد ولا ألذّ من التنقيب عن الآثار والمآثر على اختلاف انواعها : أثَليّةً كانت كأشعار هوميروس وخطَب شيشرون ، او تركةِ افلاطون ونفثات هيبوقراط ، او ازميليّة كتمثال فنوس ميلو وسائر المنقوشات البديعة زينة المتاحف ، او متاعيّةً من قلائد واسلحة وآنية . وكنا على يقين من ان رجالًا أنشأوا بعلبك والاهرام او التآليف مفاخر الشعراء والفلاسفة ، كان لهم اخوان وزملاء حوّلوا نبوغهم الى خير ما يصبو اليه الانسان : حفظ الصحة وشفاء المرض ؛ وان كنوزًا كهذه يجب التفتيش عنها ؛ وان هذا التفتيش احقُّ به واقدر عليه رجال المكان واللغة والعادات وظروف الاحوال . وكان ان توفّقنا الى وجود الآثار الطبّية الكثيرة في اللغة العربية ، وقد نُشر بعضها في « علم الصحة » ومؤتمرات مدرسة الطب الفرنسية ، وجمعية الاطباء ، والمجلّات حتى قُبيل الحرب . ومنه : معرفة البرداء بانواعها : حمّى الغِبّ والورد والربع ، بل مُسبّبها اي البرغش . والغربيون يعظّمون كثيرًا ، والانكليز يفاخرون جدًّا بان رونالدروس اول من فضح سرّ ذيوع الملاريا اي بلدغ البعوض عام ١٨٩٨ مع ان الحارث بن كلدة المسيحي ، طبيب نبي الاسلام ، وغيره نادوا بذلك بنصوص لا مردّ عليها ؛ وابن القلانسي بتاريخه للشام سبق بمئات السنين الى وصف النزلة الصدريّة الوافدة ؛ وشاعرنا الفريد المتنبي مثّل تمامًا « حمّى الدقّ » اي السلّ في قصيدته التي مطلعها :

ملومُكما يجلُّ عن الملامِ

اذ بدأ يصفها ببعض ابيات اولها :

وزائرتي كأنَّ بها حياءً فليس تزورُ الا في الظلامِ

ولا غرابة ، او ما هو القائل :

كفى بجسمي نحولاً انني رجلٌ لولا مخاطبتي اياك لم ترَني .

وقد عثرنا على اقدم ذكر لمرض النوام فاذا هو لابن خلدون ، وعلى الشلَل الهستريّ وشفائه بالتأثير في الفكر . فلم يكن بختيشوع في دار هارون الرشيد اقلَّ براعةً في التشخيص والمعالجة من شاركو في باريس ومستشفاه « السلپتريير » . وفي ميراثنا اللغويّ الفاظٌ دقيقة في المبنى والمعنى لما لم تزل نستنيه بالعجمة : دفتيريا ودوسنطاريا وهما الخُناق والزُّحار . وهلم جرًّا .

ذلك ما بلغ بنا سريعاً الى ذلك المصدر ذي القِدَم العظيم والجلال المهيب : الكتاب المقدّس . وهو قد كُتب في بلادنا وبلغاتنا وأقاليمنا وفي محيطٍ من عقليتنا وعاداتنا واخلاقنا وامراضنا .

وبمراجعة الكتاب سفرًا سفرًا وآيةً آيةً ظهرتْ كنوزٌ ثمينة لما هو من علم الامراض وفنون الوقاية .

ومن الطبيعي انه لم يكن ندحةٌ لواضعي النصائح والشرائع، من موسى الى سليمان الحكيم الى بولس الرسول، من ان يُعنوا بالاحوال الجسدية وسنّ الانظمة الصحية بعد الدينيَّة : والصحة اساس الكيان والعمران ، كما ان النفس السليمة في الجسم السليم ، والجسم السليم في النفس السليمة . ومخالفة النواميس الدينيَّة كثيرًا ما تؤدي الى قتل النفس والجسد . وسنقسم هذا البحث الى شطرين . ففي الاول ننظر ما يهمّ الوقاية، وفي الثاني ما يختصّ بالامراض وهويّتها . ثم نعقبها ببعض ملاحظات لُغويَّة .

١ الصحة والوقاية في الكتاب المقدس

لا يتصفَّح المُطالع الاسفار المقدَّسة حتى تتجلى له فورًا حكمةٌ أوَّليَّة هي : «الوقاية خيرٌ من المعالجة» . توافرت الآيات الهيجينيَّة وقلَّت ، على تلك النسبة ، آي

الطبابة والتطبيب :« قبل المرض اتقِ » (يشوع بن سيراخ) « لا تركضوا الى الموت بضلال حياتكم ولا تجلبوا عليكم الهلاك باعمال يديكم ، اذ ليس الموت من صنع الله ولا هلاك الاحياء يسرُّه » (سفر الحكمة).

العفاف والزواج

« فخلق الله الانسان على صورته . على صورة الله خلقه ذكرًا وانثى . وباركهم الله وقال لهم انموا واكثروا واملأوا الارض ». « وقال الربُّ الاله لا يحسن ان يكون الانسان وحده فاصنع له عونًا بازائه.» (سفر التكوين) ان هناء المعيشة ومشاطرة عناء الحياة وإخماد الشهوات — بعد حفظ النسل ونموه — وكل ذلك من ضروريات الكيان وسلامة العافية ، يقضي بالزواج حتماً . فلا يُستثنى الا اولئك الذين يطمحون عن طريق البتوليَّة والعفاف وبطرُق سامية الى مثالٍ سامٍ ، عنيتُ التبشير والعلم وخدمة الفقير او اليتيم . فهم « مَن خصى نفسه لله ». وقد نبَّهنا فكر القارئ بهذا المكان الى حكمة العناية بأن جعلت عدد الذكور مساوياً في المواليد لعدد الاناث .

واما المخالفة ، اي الزنى ، فقد اوصلت البشرية ، كما يشاهَد في جميع انحاء العالَم ، الى علل معنويَّةٍ وأسقامٍ نفسيَّة وامراض شرّ الامراض واقتلها لمرتكبيه ولنسلهم نفسه . فالمستشفيات والمستوصفات والمآوي حتى ما هو منها خُصَّ بالعميان والمجانين والاشلّاء تنادي بان الزُهري والسيلان ، ولدَى الزنا ، في مقدَّمة الامراض أذى وفتكاً.

ما أجمل اياماً عرفناها بلبنان ضَمنَ فيها العفافُ والزواج وبكوره وفرةَ البنين وأُلفةَ الاسرة وسلامةَ قومنا من علل تأتي من كل نوع وبكل نسيج وعضو . وان تقرأ احصاءات الاطباء ، تثق بآيات الكتاب : فما عدا تلك التي دوَّنت غضب الله على أونان وصادوم وعامورة ، فانا نقرأ : « اما اولاد الزناة فلا يبلغون أشدَّهم وذرِّية المضجع الاثيم تنقرض.» (سفر الحكمة) ؛ « فان الاشرار يُستأصلون ، اما الذين يرجون الرب فانهم يرثون الارض.» (المزامير) ؛ « المرأة الزانية مرَّةٌ كالعلقم حادَّةٌ كسيف ذي حدَّين. »

ان يحفظ الناس الوصية : لا تزنِ يحفظوا من اهوال لاعداد لها ، أشكالها

لا تُحصى : « فان انطلاق المُغوى في اثر الزانية انطلاقُ الثور الى الذبح . » (الامثال) أو « مثل عصفور الى الفخ » ; « فان الزانية حفرةٌ عميقة والغريبة بئرٌ ضيّقة » . « فمُ الاجنبيَّة حفرةٌ عميقة فمن سخط عليه الربُّ يسقط فيها » .

ولما كان بالعفاف والزواج في عزّ الشباب الصيانة وقطع الاسباب كُتبَ : « مَن حازَ امرأةً فهي له رأس الغنى وعون بازائه وعمود يستريح اليه . » (ابن سيراخ) « فاحفظوا روحكم ، ولا تغدرْ بامرأة صبائك . » (نبوءة ملاخي) أوَ ما هي الحكمة المجسّمة آية رسول الامم للقرنثيين وبالاحرى لجميع الشبان في كل الازمان : « ان لم يتعفّفوا فليتزوّجوا فالتزوج خير من التحرّق . » ؟

والعفاف ، كناصع البياض ، تشوبه ادنى لطخة . لذلك وجبَ أشدُّ الحيطة ، و « الكتاب » لم يبخل ببيانها فالمجال من حافة الحفرة الى قعرها خطوة واحدة قصيرة ، والسبيل كما رسمه الشاعر العصريّ انما هو :

نظرةٌ ، فابتسامةٌ ، فسلامٌ ، فكلام ، فوعد ، فلقاءُ .

« لا تتفرّس في جمال احدٍ ولا تجلس بين النساء ; اخجل من التفرّس بامرأة ذات بعل ومن مراودة جاريتها وبقرب سريرها لا تقف . » (ابن سيراخ) ولذلك علّمنا الربُّ ان نطلب هكذا : « لا تُدخلنا التجربة » ; « وان من نظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى في قلبه » و « ان شككتنا عيننا فلنقلعها او يدنا اليمنى او رجلنا فلنقطعها » . وقد اضاف الرسول مرارًا بالمعنى الآتي : « وقد كتبت اليكم في الرسالة ألّا تخالطوا الزناة » وايضاً : « لا تضلُّوا ، ان العِشَر الرديئة تُفسد الاخلاق السليمة » .

السُكْر والشراهة

فطرة الانسان تهوي به ابدًا الى الشهوات والمعاصي . وما هذه الا السبيل الوحب الى علل نفسية وجسديّة عديدة قتّالة . وبين الشهوات ثرانا بجعل أشد الى هاتين النقيصتين التوأمتين المصحوبتين عادة بشقيقات ورفيقات أُخرى كالزنى . وما أكثر رُفقاء الشرّ !

واوّل السكر تأثيره في العقل بذلك الشعور الغرّار الخطير الجارّ معه وبه خُرق الآداب وفساد الاخلاق . وهو أذى سجّله سفر التكوين على ابينا نوح :

«وشرب نوح من الخمر فسكر وتكشّف داخل خبائه» ؛ ثم المؤدي حتماً الى إتلاف او هرم باكر في انسجة الجسم حتى النسل، بعد حلول البلاهة فيه وملكة السكر عينها.

والشراهة تولد الامتلاء. والاحتقانات وتوافُر الفضول من دهن واملاح وحوامض وسموم فينشأ عنها النقرس وداء الملوك والحصى والسمنة وداء السكر وزيادة الضغط (السائد وهمه الآن) وربما السرطان. وقد بيَّنا انَّ السرطان المَعِدي لم نعثر عليه الا في معشر الشرهين: «فان الشراهة قتلت اكثر من السيف»[1] (مثلٌ روماني) ؛ ذلك ما خلا الاضرار المعنويَّة في جهلة عملوا «من بطونهم آلهتهم». ولنسمعنَّ الآن «الكتاب»: «وكلّم الربُّ هارون قائلاً: «لا تشرب خمرًا ولا مُسكرًا انت ولا بنوك عند دخولكم خباء المحضر «لتعلّموا بني اسرائيل») لئلّا تهلكوا (سفر الاحبار). وبما ان الآفتين تعوَّدتا ان تصطحبا فالكتاب يجمعهما احياناً في الآية الواحدة: «لا تكن بين الشرِّيبين للخمر والمتهمين للّحم» (سفر الامثال). «لِمَن الويل ولمن الشقاء ولمن المنازعات لمن الشكوى لمن الجراحات عن غير علّة[2] لمن إظلام العينين؟؟ — للذين يدمنون الخمر. للذين يدخلون ليذوقوا الممزوج (فكأنه يتكلّم عن خمّارات أيامنا). لا تنظر الى الخمر اذا احمرَّت وأبدت في الكأس حبيها ؛ انها تسوغ مريئة ؛ لكنها في الآخر تلسع كالحيَّة وتبثُّ سُمَّها كالارقم. تنظر عيناك الغرائب وينطقُ قلبك بالفواحش ؛ وتكون كمضطجع في قلب البحر او كنائم على رأس السارية ؛ وتقول ضربوني ولم اتوجّع ؛ رضّضوني ولم اشعر ؛ متى استيقظ فاعود الى التماسها؟» ! (سفر الامثال). ما أبلغ هذا التمثيل وما ادقه ! «الخمر أهلكت كثيرين» (يشوع بن سيراخ). ولهذا الكاتب ايضاً سرد دقيق لاضرار عاديَّة تعتري النَّهمين كعسر هضم ومغص وما يكون عن ذلك من

١) الاحصاء أثبت لنا طول حياة وحسن صحة حبساء لبنان. وهم يأكلون وقعة واحدة في اليوم ولا يذوقون اللحوم

٢) وبعصرنا يمكننا ان نزيد: لمن تدهور السيّارات واصطدام القطرات واخطار المحرّكات وخراب المضاربات او المجازفات؟

انزعاج وإزعاج لا يجهلها احد ...

وهو كجميع الكتبة يميّز بين الشرب والسكر وبين الاعتدال والافراط ؛ يستحبُّ الاول بشرط ان لا يبلغ الثاني. ولا يسعني بعد هذا الكلام ان اتساءل ما كانت تقوله الاسفار المقدَّسة عن المسكرات العصريّة المتوافرة فيها الكحول ؟

وبكل ما هو صحي اجدني ابدًا امام ذلك الذي راحَ ينادي اهل اثينا بالاله المجهول على عظمته ، وانا انادي به الصحّي العظيم المجهول ، سَميّتُ بولس الرسول : « واعمال الجسد واضحة وهي الزنى والعداوات والمحاسدات والقتل والسكر والقصوف » ؛ « وعنها اقول كما قد قلتُ ان الذين يصنعون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله » والاختبار يُضيف لا يَرثون ولا يُورثون الصحة ؛ « خذ يا تيموثاوس قليلًا من الخمر لاجل معدتك الضعيفة . »

وليس ، على ظني ، من يستغرب هذا التشديد في التحذير والتحظير متى تأمل اضرار هاتين الرذيلتين وانها اصلٌ ، كما تقدَّم ، للمعاصي العديدة : « بالخمر الدعارة وبالمسكر الجلبة ، كلٌّ من لهج بها ليس بحكيم . » (الامثال) « الخمر والنساء تُضلّان العقلاء ، كثيرون هلكوا من الشره ، اما القنوع فيزداد حياةً » (يشوع بن سيراخ) ؛ « وحين أشبعتهم فسقوا والى بيت الزانية تبادروا. صاروا حُصُنًا مُعلّفة هائمة ، كلٌّ يصهل على امرأة قريبه . » (ارميا النبي) « ولا تسكروا من الخمر الذي فيه الدعارة . » (بولس الرسول) ؛ « كونوا قنوعين ساهرين فانَّ ابليس خصمكم كالاسد الزائر يجول ملتمسًا من يبتلعه . » (القديس بطرس).

اذن في النقيصتين شرٌّ ذاتي وشرٌّ استبيح ان استيه شرًّا « نتيجيًا » او مسبّبًا . ولذلك عُدّتا من الخطايا الرئيسية او الاصلية ، كالغضب والكسل والحسد والزنى لما ينجم عنها من عِلَل ثانويّة في نظر الدين والصحة على السواء .

وقد يدخل « الكتاب » دقائق الامور كأنه كتابٌ صحي بحتٌ فيحرّم لحم الخنزير لما قد يكون في هذا الحيوان أليف القذارة وربيبها من ديدان وجراثيم . ويُشير بالملح ويقرّظ التمليح صيانة للاطعمة من الفساد والحمّم المؤذيين فضلًا عن الانفة منها . وقد وُضع « الكتاب » في بلاد حارَّة يسرع فيها

النتن وهكذا من مثل ذلك كثير.

اتّقاء الامراض المُعدية الوبائية

لإيقاف ذيوع الامراض السريعة الانتشار الشديدة الفتك قد سنّت الحكومات الحكيمة، ولاسيما بعد اكتشافات باستور وأعوانه، انظمةً تنتصب سدًّا في وجه تلك الضربات. وهي حيطة قوامها: اعلام الحكومة جبرًا؛ فصل المريض؛ التطهير؛ وقد جاءت بنتائج باهرة. وفي ذلك قد سبق «الكتاب» وسنّ نُظُم وقاية النفس او الجسد او الوقايتين معًا من خطر العدوى. أو ما السلامتان تتقابلان وتتساندان كنصفي قنطرة؟: «والآن اكتب اليكم الا تخالطوهم اي ان كان احدًا ممّن يُسمّى أخًا زانيًا او بخيلًا او عابد وثن او شتّامًا او سكّيرًا او خطّافًا فمثل هذا لا تؤاكلوه ... فارفعوا من بينكم الشرير.» وهاك الآن بعض نصوص شيخ المُشترعين حتى لما هو من الصحة، اي موسى، فكأنك تقرأ فصلًا من فصول علم الصحة في ايامنا. ولنأخذن مثلًا داء البرص أشيع أوباء ذلك الزمان وأبشعها (او القرعة او السلان آفة الشبان): «ومتى ظهرت في انسان اعراض الداء. فالرجل ابرص وهو نجِس فليحكم الكاهن[1] بنجاسته. والابرص الذي به البلوى تكون ثيابه مُفتّقة ويلتثم على شاربيه[2] وينادي: نجس، نجس، ما اقامت به البلوى يكون نجسًا. انه نجس فليُقم منفردًا وفي خارج المحلّة يكون مقامه. واذا حكم الكاهن بطهارته فيغسل ثيابه ويطهر.» اذن لم يذهل الشارع العظيم عن خطر الملابس الشديد. لذلك يكرّر او يزيد: «فليُحرق الثوب مما تكون فيه البلوى لانها برص مفسد يُحرّق بالنار». فالنار افعل المطهّرات امس واليوم؛ «وكل فراش يضّجع عليه المصاب بالسيلان يكون نجسًا وكل ما يجلس عليه»؛ «ثم يغسل المتطهّر ثيابه ويحلق جميع شعره (الشعر كالملابس مُستقرّ للميكروبات) ويغتسل بالماء.

---

١) لان الكاهن اوفر علماً واكثر مهابة لتنفيذ الحكم. وهكذا كان الى امس في بلادنا لما هو من الشرع والقضاء والاتظام او فض المشاكل.

٢) سائلات الانف بيئة الجراثيم تتطاير منها حين السعال والعطاس؛ ونحن الآن نعمل في مثل هذه الظروف الكمامة.

فيطهر .» ؛ وبعد ان يقيم في المحلة « ولكن خارج خيمته ، سبعة ايام ، يعود الى حلق جميع شعره ويغسل ثيابه ويرحضونه بالماء فيطهر .» ؛ « واذا لمس من به السيلان اناء خزف فليُكسر او اناء خشب فليُغسل بالماء . » وهكذا موسى وزملاؤه كتبة الاسفار قد رسموا في امكنة عديدة : أن مَن وما مسَّ الموبوء او الميت نَجِس ، تفادياً لما يعلق بالملامس والملابس من الجراثيم المرضيّة . وقد لا يُصاب هذا الاخير لكنه قد ينقل ميكروب العلة لمن يخالطه . (نقلة الجراثيم) . وقد ورد نصوص لتطهير الجدران ولو بالنار .

ولما عُرف من ان بالاعادة افادة والقوم « غليظو الرقاب » ، عاد موسى في سفر العدد الى نواهيه : « مُرْ بني اسرائيل بان ينفوا من المحلّة كل ابرص و كل من به سيلان وكل منجّس بميت » وايّد هذا التحريم حزقيال وغيره .

وظلّت الاحتياطات عينها معمولاً بها وبصرامتها الى ايام المسيح والقرون الوسطى كما يتّضح من وثائق عديدة منها للانجيلي لوقا : « وعند دخوله الى قرية استقبله « عشرة »[1] رجال برص وقفوا — من بعيد — ورفعوا اصواتهم قائلين : يا يسوع المعلم ارحمنا .»

واذا استثنينا بعض الادوية المُطهّرة المستخدمة الآن لقتل الجراثيم او التخلّص منها (الكبريت ، الفورمول الخ) فنجد ان اركان الوقاية هي اليوم ما كانت في أقدم الازمان . وإثباتاً ، نقدّم الآيات الآتية ونقتصر عليها « وليحجز الكاهنُ المُبتلَى بالقرَع سبعة ايام » ،على ان يُجدِّد الحجز تباعاً الى ان يبرأ . وان من مسّه يُعدُّ نجساً أقلّه حتى المغيب » وكل شيء يمكن ان يدخل النار تجيزونه في النار فيطهر ، غير انه يتطهّر بماء النضح . وكل ما لا يدخل النار تُجيزونه في الماء . » (سفر الاحبار) ؛ « وانضح عليكم ماء طاهرًا فتطهرون من جميع نجاستكم .» (حزقيال النبي) . واذ كان الاعتماد نظافةً وتطهيرًا وقوام النظافة وأداتها كالماء النقي « الامين » ، وهي الف وياء الصحة والوقاية . فانّا لا نستغرب عبارة الانجيل : « وكان يوحنا يعمّد في عين نون لكثرة الماء هناك » .

---

[1] كأنهم اجتمعوا في « مبرصة » léproserie (له صلة)

الاشعة المجهولة

بقلم انطوان باز

المهندس من المكتب الافرنسي في بيروت
ومن مدرسة الكهرباء العليا في باريس

٢

(تتمة)

الراديوكرافي

قلنا ان الراديوكرافي هي تصوير العضو المريض من جسم الانسان بواسطة الاشعة المجهولة . وكيفية ذلك ان يُجعل بينه وبين مصدر الاشعة لوحة ضمنها الشريط الفوتوكرافي او « الفيلم » فتنطبع الصورة بتأثير الاشعة الكيماوي . ولا لزوم لفتح اللوحة ، اثناء عرض الشريط ، كما في التصوير العادي ، فهو يتأثر ضمن خشب اللوحة . لذلك يُستغنى عن عمل الظلمة ضمن الغرفة فيجري سحب الصورة في النور .

وللراديوكرافي قواعد دقيقة يجب حفظها مخافة ان تجيء الصورة قليلة الوضوح ، فلا يستفاد منها شيء .

يصوَّر المريض بالاشعة اما واقفاً امام الطاولة كما في الرسم ٤ (راجع القسم الاول من المقالة ، عدد حزيران سنة ١٩٣٣) واماً نائماً فوقها . فالطريقة الاولى ضرورية في تصوير الصدر وخصوصاً القلب لوجوب التلرديوكرافي ، اي ابعاد الانبوبة عن المريض بمتر ونيف مما يستحيل تحقيقه في الموقف الثاني . والطريقة الثانية يُعمد اليها في تصوير باقي الاعضاء من الجسم ، او فيما اذا كانت حالة المريض من الضعف لا تمكنه من الوقوف . وحسب ما تستعمل الطريقة الاولى او الثانية فتجعل اللوحة الحاوية للشريط امام المريض ، على شرط ان تكون لاصقة به لئلا تجيء الصورة خيالًا ، او تحت المريض . وفي كلا الحالين تصوَّب الاشعة من الجهة المعاكسة للوحة .

ومن الواجب تعديل المسافة بين الشريط ومصدر الاشعة ، وقوة التوتر بين قطبي الانبوبة ، وقوة المجرى الداخل فيها ، والوقت اللازم لعرض الشريط على الاشعة . وكل ذلك تابعٌ للعضو المقصود وضخامته ، ونوع الشريط المستعمل . ثم لا يخفى ان في تصوير الاعضاء المتحركة كالقلب والرئتين يجب الاقلال من وقت العرض كي تؤخذ صورة العضو في لحظة واحدة فيبين في طور واحدٍ من حركته . ولما كان الشريط الفوتوغرافي لا يتأثر غالباً في لحظة ، بالاشعة المجهولة ، فيزاد تأثيره بزيادة كمية المجرى وباستعمال شريط مخصوص يجعل مع الشريط الفوتوغرافي ضمن اللوحة ويُعرف بالـ *écran renforçateur* . وبهذه الطريقة توصل الفن الى اخراج الصور الراديوگرافية كما في القلب بزمن لا يزيد على عشر واحد من الثانية .

وبين ان جسم الانسان ، عندما تخترقه الاشعة المجهولة ، يصبح بنفسه مصدرًا ثانوياً لاشعة رنتجن فيعطل في الشريط ويذهب بوضوح الصورة الى حدّ انه يستحيل بسببه تصوير الحصى في الكلوة او المرارة مثلًا . لذلك جدّ الباحثون فجاؤوا بآلة متحركة تعرف « بالشبكة » . (*grille antidiffusante ou Potter Bucky*) تجعل بين المريض والشريط الفوتوغرافي فتمنع وصول الاشعة الثانية الصادرة من جسم المريض الى الشريط . واتماماً للفائدة فقد جمعنا في الجدول الآتي بعض المقاييس للتصوير الراديوگرافي لآلة ذات سدة واحدة . ولا يحسب القارئ ان كمية المجرى تابعة لقوة الآلة فقط بل لثخانة السلك الكهربائي الموصل اليه كهربائية شركة توزيع القوة ايضاً . فكم من مرة جاء ذلك السلك دقيقاً فلم يسمح باستعمال معظم قوة الآلة . ففي تلك الحال يفضل امَّا تغيير السلك المذكور ، واما انقاص كمية المجرى والاستعاضة عنها بزيادة وقت العرض ...

وبعد ما يُعرض الشريط على مفعول الاشعة يجب تظهيره كيماوياً ، وعملية التظهير دقيقةٌ طالما كانت السبب الاكبر في عدم نجاح الصورة .

فعلى الطبيب اولًا ان لا يفتح اللوحة الحاوية للشريط الّا في غرفة مظلمة ينيرها قنديل او قناديل كهربائية ضئيلة النور ، مستورة بزجاج مخصوص ملوّن .

فيصفي النور الابيض ولا يدع يخرج منه الا ما لا تأثير له في الشريط . ثم تفتح اللوحة ويُخرج الشريط منها بكل انتباه لئلا تلوثه الاصابع، ويُلقط بملقط من النيكل، اذ يُجعل في اطار معدني، ويدلّى في وعاء اول فيه المحلول الكيماوي « المظهّر » . والافضل ان يكون الوعاء عمودياً كما في الرسم ٨ فلا ترسب فوق الشريط الحبيبات الغريبة كما لو كان الوعاء سطحياً . ويبقى الشريط في المحلول المظهّر خمس دقائق على ان تكون حرارة المحلول ١٨ درجة سنتغراد . فاذا ارتفعت الحرارة فوق ذلك، كما في الصيف، وجب انزالها بواسطة التبريد. واذا نزلت تحت ذلك، كما في الشتاء، استحسن رفعها بواسطة التيار الكهربائي. وعند مرور الوقت المعين يُرفع الشريط، ويغسل جيداً بالماء في وعاء ثانٍ، ثم يُنقل الى وعاء ثالث مملوء من محلول هيپوسولفيت الصوديوم او « المثبّت » . ولا تقل مدة التثبيت عن العشر دقايق . . . ثم يخرج الشريط نهائياً ويُغسل بالماء مراراً . والاحسن ان يكون ماء الغسيل جارياً ليذهب بما يكون قد علق بالشريط من المحاليل الكيماوية واملاح مفاعيلها . وبعد ذلك ينشف الشريط بجعله في مكان يلعب به الهواء.

وقد اعتاد بعض الاطباء اخراج الشريط مراراً اثناء تظهيره لرؤية الصورة. وهذا خطأ لانهم يعرّضون بذلك الشريط الى النور دون فائدة ما اذ ان احسن دليل لتظهير الشريط ابقاؤه في المحلول خمس دقايق، كما تقدم.

وهنالك نقاط هامة يجب الانتباه اليها كحفظ الشريط الفوتوگرافي الغير المستعمل ضمن صندوق مغلّف بالرصاص حفظاً له من تأثيرات الاشعة المجهولة، واستعمال لوحة واحدة فوتوگرافية في وقت واحد . فلو كان لوحتان معاً في غرفة الاشعة لتعطّلت الواحدة بعرض الاخرى لانتشار الاشعة في كل مكان من الغرفة . وفي كتب الاختصاص نصائح كثيرة تعين الطبيب والعامل بفن الراديوگرافي على اتقان عمله ونيله النتائج الحسنة.

وتزيد، كما قلنا في بدء المقالة، ان بعض الاعضاء لا تظهر جيداً بالصورة الا بوسائط شتى منها اجراع المريض مغلياً من الجيلوباريت في الجهاز الهضمي والمعدي، وحقن الخاصرة بالهواء والاوكسيجان في مرض الكلوة الخ . . .

العضو المصوَّر	المسافة بين الشريط الفوتوگرافي ومصدر الاشعة	قوة التوتر بين قطبي الانبوبة	كمية المجرى	الوقت اللازم لعرض الشريط: بدون شريط مقوّ	بواسطة شريط مقوّ	مع شريط مقوّ وشبكة بوكي
الجمجمة وجهاً	٧٠ سنتيمترًا	٧٥ الف ڤولت	٢٠ ميلي امپار	—	—	٤ الى ٥ ثوان
» جنباً	٧٠ »	٧٠ » »	٢٠ » »	—	—	»
العمود الفقري وجهاً	٧٠ »	٧٥ » »	٢٠ » »	—	—	٤ الى ٦ ثوان
» » جنباً	٧٠ »	٩٠ » »	٤٠ » »	—	—	٨ الى ٩ »
الرئتان	١٥٠ »	٥٥ » »	٨٠ » »	—	٢/١٠ الى ٣/١٠ الثانية	—
القلب	١٥٠ »	٧٥ » »	٨٠ » »	—	١/١٠ الى ٢/١٠ »	—
المعدة والامعاء	٧٠ »	٨٠ » »	٨٠ » »	—	٢/١٠ الى ٣/١٠ »	—
الكلوة والمثانة والمرارة	٧٠ »	٦٥ » »	٤٠ » »	—	—	٣ الى ٤ ثوان
الحوض	٧٠ »	٧٥ » »	٢٠ » »	—	—	٣ الى ٤ »
الركبة	٥٠ »	٥٠ » »	٢٠ » »	—	٢ الى ٣ ثوان	—
الرجل	٥٠ »	٤٠ » »	٣٠ » »	٥ الى ٦ ثوان	—	—
الكتف	٥٠ »	٥٠ » »	٢٠ » »	—	٢ الى ٣ ثوان	—
الذراع	٥٠ »	٤٥ » »	٢٠ » »	٥ الى ٦ ثوان	—	—
الكف	٥٠ »	٤٠ » »	٢٠ » »	٣ الى ٤ »	—	—
الاسنان	٣٠ »	٤٠ » »	٢٠ » »	٢ الى ٢ ١/٢	—	—

الراديوترابي

قلنا ان الراديوترابي هي المداواة بالاشعة المجهولة . واهم ما يداوى بها مرض السرطان ، خصوصاً في اوله .

يُحمل المريض على طاولة ثم تُحصر فوق المصاب من اعضائه الاشعة المجهولة الخارجة من انبوبة كوليدج . ويجري تحكيم الاشعة بتحريك الانبوبة فوق العمود يميناً او شمالاً وصعوداً او نزولاً . اما مجموع الانبوبة وعمودها فيُدار فوق اربعة دواليب يُنقل من مكان الى آخر كما في الرسم ١٠

امّا التوتّر المستعمل في الراديوترابي فمن المائة وخمسين الف فولت فصاعداً ، اذ تبين ان طول تموّجات الاشعة المجهولة تقصر كلّما علا توتّر المجرى المرسل الى انبوبة كوليدج ، وان اختراق الاشعة للاجسام يزداد بقصر تموّجاتها . ومن الثابت اليوم ان التموّجات ، على انواعها ، من تموجات هرتز اللاسلكية ، الى تموّجات النور العادية ، الى التموّجات فوق البنفسجية ، فتموّجات رنتجن ، فتموّجات الراديوم ، انما هي سلسلة واحدة يفرقها بعضها عن بعض طول تموّجاتها . فبينا التموّجات اللاسلكية يتراوح طولها بين الثلثين كيلومتراً والثلثين سنتيمتراً ، وتموّجات النور العادية تمتد من سبعة اعشار الى اربعة اعشار الميكرون اي من سبعة من عشرة آلاف الى اربعة من عشرة آلاف من المليمتر الواحد ، نرى تموّجات الاشعة المجهولة تسير من خمسة عشر الى واحد من عشرة من الانكستروم والانكستروم يوازي واحداً من عشرة آلاف من الميكرون اي واحداً من عشرة ملايين من المليمتر . امّا تموّجات ملح الراديوم فلا يتجاوز طولها اربعة اعشار الى خمسة من الانكستروم . فهي اذاً قصيرة جدّاً وهذا سبب اختراقها الغريب للاجسام واستخدامها في مداواة الخلايا الخبيثة . وقد رسمنا في الصورة ١١ سلسلة تلك التموّجات نسبةً بعضها لبعض .

ولمّا كانت تموّجات الاشعة المجهولة تزيد قصراً بازدياد توتّر المجرى في الانبوبة ، فقد حسب العلماء انه اذا بلغ التوتّر سبعماية الف فولت فاكثر ، جاءت تلك التموّجات مثيلةً لتموّجات الراديوم ، فاستغني بذلك عن ذلك الملح

الغالي الثمن . وليست الصعوبة الوصول الى ذلك في تحقيق التوتر العالي وقد جيء بتوتر يزيد على المليون ڤولت ، انما الصعوبة في عمل الانبوبة الحاملة لهذا التوتر . كيف لا وازدياد التوتر يحكم بزيادة طول الانبوبة لئلا تنشب ، بقوة الضغط ، شرارة كهربائية بين القطبين من الخارج . وقد بُدئ بادئ بدء باستعمال الانابيب العادية موضوعة في زيت مخصوص لتبريدها اولا ، وحفظاً لنشوب الشرارة الكهربائية ثانياً ، والزيت هذا موصل رديء للتيار الكهربائي . انما باتت تلك الطريقة دقيقة جداً نظراً لما تتطلبه من نقاوة الزيت المذكور وخلائه من كل رطوبة . فاذا اخذ الزيت شيئاً من رطوبة الهواء خسر مزاياه الكهربائية فلزم تغييره او تنشيفه بطريقة فنية .

واستُعمل الى الآن ، في الراديوترابي ، توتر ٢٠٠ الف ثم توتر ٣٠٠ الف ڤولت . وقد حققت مؤخراً لوسط مداواة السرطان في بوردو آلات لتوتر ٤٠٠ الف ڤولت ، وهذا آخر ما توصل اليه الفن . واستُعيض عن الانابيب في الزيت بانابيب في الهواء ، عظيمة الطول منعاً للشرارة الكهربائية . وكثيراً ما تبرَّد تلك الانابيب بتيار من الهواء البارد ترسله مروحة كهربائية فوق الانبوبة . ومن آلات الراديوترابي ثلاثة في بيروت في مستشفى « اوتيل ديو ده فرانس » بتوتر ٢٠٠ الف ڤولت .

واهم ما في الراديوترابي تعديل كمية الاشعة الداخلة في جسم المريض والمقياس المعروف لذلك مقياس R ، يُزان بآلة للدكتور سالومون في باريس تعرف با *ionomètre* . امَّا الكمية المعطاة من الاشعة فتابعة لنوع المرض ، وتقدمه ، وضخامة العضو المصاب ، ورأي الطبيب الاختصاصي المعالج ، والمستحسن في مرض السرطان ، اذا كان في اوله ، اعطاء الكميات الوافرة من الاشعة لقتل الجرثوم الخبيث قبل ان يعتاد مفعول الاشعة فلا تعود تؤثر فيه .

وكما بيَّناه سابقاً ، من الضروري وقاية الطبيب ومعاونيه من مفعول الاشعة ، خصوصاً وان تأثيرها ، تحت التوتر العالي ، عميق جداً . لذلك فان جدران غرفة المداواة مغطاة من الداخل بصفائح من الرصاص ، لئلا تخترقها تموّجات الاشعة المجهولة فتنتشر في الخارج فتعمل بالاشخاص عملها السيء . اما

منضدة تعديل المجرى فموضوعة في غرفة صغيرة ملاصقة للاولى ، يشرف الشاغل بها ، على حركات المريض المتداوي ، من كوة صغيرة من الزجاج الرصاصي. ولا نغالي اذا قلنا انه رغم تلك الاحتياطات ، فكثيراً ما يؤثر تيار الاشعة ، على تواتر الايام ، بالمعالجين فيُصاب بعضهم بعلة الراديودرميت العضالة فيموتون ضحية العلم والانسانية.

الاشعة المجهولة في الصناعة

ولا بدّ لنا في الختام من كلمة عن استخدام الاشعة المجهولة في المختبرات العلمية والصناعية . امّا في المختبرات العلميـة فلدرس تكوين المادة البلورية (*analyse cristalline*) او لدرس اشكال تبلورها الهندسية (*cristallographie*) او تحليلها كيماوياً استناداً لمفاعيل الاشعة فيها (*spectrographie H. F.*)

اما في الصناعة فتدرس المعادن من جهة تكوينها الـداخلي وتغيره بتغير العوامل الخارجيـة من ميكانيكية وغيرهـا . ويرى في الرسم ١٢ صورتان ميكروسكوبيتان لصفيحة واحدة من معدن الاليمونيوم قبل تحميتها بالنـار وبعد تحميتها فيظهر، بصورة اليمين ، مفعول الحرارة في تغير تكوينها الداخلي. ودرس المعادن باشعة رنتجن يدعى بالافرنسية (*métallographie*)

ومن استخدام الاشعة استعمالها لمعرفة اللآلئ الطبيعية من الـلآلئ المرّباة ، تظهر الاولى بشكل دائرة مسدّسة الوسط بينا ان وسط الثانية يظهر مربعاً . والفرق بين الجنسين ظاهرٌ في الرسمين ١٣ و ١٤ . ويتبين للقارئ اهمية ذلك في تجارة اللآلئ لفرق الثمن بين اللآلئ الطبيعية واللآلئ المرباة او المصطنعة.

ومن غريب ما رأيته في باريس ، العامَ المـاضي ، استخدام الاشعة لتصوير رجل الانسان في الحذاء ليتبين مركز الرجل نسبةً لقياس الحذاء. وقد استعملت تلك الطريقة احدى معامل الاحذية الشهيرة قصداً لنشر الدعوة ، مبينةً للناس ان درسها للحذاء تابع لقواعد الصحة والفن.

تلك هي مفاعيل الاشعة المجهولة ، وتلك هي طرق استخدامهـا في الطب والصناعة . ولا ندري ما يأتينا به الغد من اختراعات جديدة في هذا الصدد ، وقد اصبحت اشعة رنتجن محطّ ابحاث العلماء في جميع اقطار المعمور .

ابن عبد ربه و«عقده»

درس ادبي تاريخي

بقلم جبرائيل جبور
احد اساتذة الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية

١٠

سبب تأليف العقد وزمنه وطريقته

اما سبب تأليفه فالظاهر من مقدمة الكتاب انه دافع علمي ادبي ، حيث يذكر صاحبه انه رأى بعض اهل العلم قبله ممن بحثوا في مثل هذه الامور التي تعرض لها في عقده اكثروا واطالوا ، ورأى البعض الآخر اساءوا الاختيار والجمع والتبويب فجعل كتابه كافياً جامعاً مبوباً مرتباً[1] . ويذهب بعض المتأخرين ، ولا ندري الى اي مرجع يستندون ، الى انه ألفه ، لعبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر المتوفى سنة ٣٥٠[2] ولا يفوتنا ان نعد هنا ما ذكرنا مرة من ان ارجوزة ابن عبد ربه في العروض ، وهي جزء من كتاب كتب العقد ، قد اهداها الى الامير عبد الله المتوفى سنة ٣٠٠

اما زمن بدء تأليفه او جمعه فلا نعلمه بالضبط ، اذ فيه من الشعر الذي نظمه ابن عبد ربه ما يرجع الى قبل سنة ٣٠٠ كما اسلفنا وفيه ما يستمر عهده

---

١) راجع ابن عبد ربه ١ : ٢-٣

٢) المقتطف المجلد ٢٩ (سنة ١٩٠٤) يوليو (ص ٥٨٨ ، مقال محمد كرد علي

الى سنة ٣٢٢ [١]. وهناك ذكر للخليفة عبد الرحمن الناصر يتبعه بامير المؤمنين [٢] مما يدلّ على ان هذا النعت ان لم يكن من وضع المتأخرين فقد وضعت اخبار صاحبه بعد سنة ٣١٧، السنة التي لقب فيها الناصر بامير المؤمنين [٣]. وفي تضاعيف العقد ما يظهر انه كان يجمع اخباره كلها ويبوبها بحيث يقع كل خبر تحت باب خاص وضعه له. وترى في ما يأتي دليلًا على ما نقول، قال ابن عبد ربه: «هذا ما ذكرنا في كتابنا من الخطب للحجاج وما بقي منها فهي مستقصاة في كتاب اليتيمة الثانية حيث ذكرت اخبار زياد والحجاج. وانما مذهبنا في كتابنا هذا ان نأخذ من كل شيء أحسنه ونحذف الكثير الذي يستجزأ منه بالقليل [٤].» اما اليتيمة الثانية فانها تقع بعد الكتاب الذي اخذنا منه هذه العبارة. كذلك ذكر مثلًا في الكتاب الاول من عقده «اللؤلؤة في السلطان» ثم اعقبه بقوله: «وهذا مثل وقد وقع تفسيره في كتاب الامثال.» [٥] وكتاب الجوهرة في الامثال انما هو الكتاب السابع من كتب العقد الخمسة والعشرين.

اختصار العقد

ولقد اختصر العقد — فيما يذكر حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون (طبعة اوربة ٤: ٢٣٢) ، والسيوطي في كتابه بغية الوعاة... (صفحة ١٨٢ وصفحة ١٠٦) — اثنان اولهما ابو اسحق ابرهيم بن عبد الرحمن الوادي آشي القيسي المتوفى حول سنة ٥٧٠هـ ، وهو فيما يظهر من اسمه اندلسي من وادي آش (Guadix) من مقاطعة غرناطة ، وثانيهما جمال الدين ابو الفضل محمد بن مكرم الانصاري الخزرجي، وهو ابن منظور الشهير مؤلف معجم لسان العرب المتوفى سنة ٧١١هـ. وقد روى السيوطي ان الاخير اختصر كثيرًا من كتب الادب المطولة عدا العقد كالاغاني والذخيرة ومفردات ابن البيطار ونقل ان مختصراته ٥٠٠ مجلد [٦].

١) ابن عبد ربه ٣: ٢٧٧ ٢) ابن عبد ربه ٣: ٣٦٣

٣) المقري ج ١: ١٦٦ وج I : ٢٧٧ طبعة اوربة

٤) ابن عبد ربه ٢: ١٨٨ ٥) ابن عبد ربه ١: ٣٢

٦) السيوطي ١٠٦

ولا اعلم هل لهذين الكتابين اثر الآن. ويظهر من فهرس كتب آداب اللغة العربية الموجودة في دار الكتب بالقاهرة (٣:٣٤٤) ان هناك نسختين لمختصر كتاب العقد كلتاهما نسبت لمجهول (احد الفضلاء.) الواحدة يرجع تاريخ الفراغ من كتابتها الى سنة ٩٩١ هـ. والاخرى الى سنة ١٠٣٦ هـ. فهل لايٍّ من هاتين النسختين علاقة باحدٍ من المختصرين المذكورين؟

وقد عمدت لجنة من بعض ادباء مصر [1] فاختارت بعض الابواب والفصول منه وجمعتها في كتاب سمته مختار العقد بين يدينا الآن الطبعة الثالثة منه، وتاريخها سنة ١٩١٣ م وقد طبعت في المطبعة الجمالية بمصر.

الناقلون عن العقد

اما الناقلون عن العقد فهم فيما نظن كثرٌ يصعب حصرهم. غير اننا نودُّ ان نشير هنا الى ان الابشيهي المتوفى بعد سنة ٨٥٠ هـ. قد نقل كثيرًا عن العقد في كتابه «المستطرف في كل فنّ مستظرف» وقد نبّه الى ذلك في مقدمة كتابه قال: «ونقلت فيه كثيرًا مما نقله ابن عبد ربه في كتابه...» [2] والغريب ان الابشيهي لم ينقل ما نقله ابن عبد ربه فحسب بل سطا على كلام ابن عبد ربه في فرش بعض الكتب، فنقله بالحرف ايضًا واسند الكلام فيه الى نفسه لا الى ابن عبد ربه [3].

وذكر البغدادي (الشيخ عبد القادر بن عمر) في كتابه «خزانة الادب ولب لباب لسان العرب» انه استند الى بعض كتب ترجع الى فن الادب منها العقد الفريد لابن عبد ربه [4].

كذلك قد رجع ابن خلدون الى العقد في اكثر من موضع في مقدمته [5] ولم يفت القلقشندي ان يأخذ كثيرًا عن العقد وقد اشار الى ذلك في كثير من المواضع [6].

١) الاساتذة: الشيخ عبد الحكيم محمد، والشيخ عبد الخالق عمر، والشيخ عبدالعزيز خليل، والشيخ محمد الخضري

٢) الابشيهي ١: ٢

٣) الابشيهي ٢: ١٧٦، وقابله بابن عبد ربه ٣: ٣٢٩

٤) ج ١: ١٠، طبعة بولاق سنة ١٢٩٩ هـ.

٥) ص ٢٠ و١٧

٦) ١: ٢١٣؛ و ٩: ٢٦٢ وغيرها

في نسخ العقد الخطية

اما نسخ العقد الخطية فهي، فيما يظهر من كتاب بروكلمن في تاريخ آداب اللغة العربية، كثيرة جداً منها اثنتان في برلين، وثلاث في غوطه، وواحدة في المجموعة الرفاعيـة لفليشر، وواحدة في ڤينـا، وواحدة في منشن، واربع في مكتبة بودليان، وثلاث في المتحف البريطاني، واثنتان في الاسكوريال بمدريد، وخمس في باريس، وواحدة في بطرسبرج، وواحدة في (Mel. as.)، وواحدة في مكتبة ميلانو الايطالية. وهناك اثنتا عشرة نسخة في الاستـانة منها ست في مكتبة ايا صوفيا، واثنتان في مكتبة نوري عثمانية، وواحدة في مكتبة راغب باشا، وثلاث في مكتبة كوبريلي[١]

ومع ان بروكلمن لم يشر الى وجود نسخة ما بالقاهرة بل اكتفى بالاشارة الى سنوات طبع العقد فيها، فانا نظنّ انه لا بد من وجود بعض النسخ. وليس من الضروري ان يكون عدد النسخ بعدد الطبعات اذ يجوز ان الناشرين المتأخرين نقلوا عن الطبعة القديمة. والذي يظهر من الطبعة الاولى سنة ١٢٩٣ انها اخذت عن نسخة خطية للشيخ عبد العزيز محاسن[٢] الـذي يظهر ايضاً انه رتب فهرسها للمواضيع على الطريقة التي هي عليهـا الآن. ويجوز ان يكون هذا قد نقلها عن احدى نسخ الاستانة. ويظهر من فهرس دار الكتب بالقاهرة ان ليس في الدار نسخة خطية تامة من العقـد، انما يوجـد عدة اجزاء صغيرة مختلفة اشرنا الى بعضها في غير هذا الموضع[٣].

في طبعات العقد، وترجمة بعض اقسامه

لقد طبع العقد في مصر ٥ مرات اولاهـا ببولاق سنة ١٢٩٣ هـ. ثم في المطبعة العثمانية سنة ١٣٠٢هـ، ثم في المطبعة الشرفية سنة ١٣٠٥هـ. ثم تكرر طبعه في المطبعـة الاخيرة ايضاً سنة ١٣١٦، واخيراً في المطبعة الازهرية سنة

١) بروكلمن ١ : ١٥٥

٢) ابن عبد ربه ١ : ٢ من جدول الفهرس باول الكتاب

٣) راجع فهرس الآداب ٣ : ٢٥٢–٢٥٣

١٣٣١ هـ . وقد ذكر الاستاذ فؤاد افرام البستاني في « روائعه » [١] ان الافرنج قد سبقوا ادباء العصر الى معرفة هـذا الكتاب ، وان المستشرق الفرنساوي تورنيل (Tournel) قد نقل الى لغته بعض المقاطع المختصة باحوال قدماء العرب ونشرها في باريس بعنوان: «*Lettres sur l'Histoire des Arabes avant l'Islamisme.*» سنة ١٨٣٦ و١٨٣٧ و١٨٣٨ . واشار الى ان المستشرقين لم يطبعوا النص العربي .

آراء بعض المتقدمين في العقد

مرّ معنا شيء من تعرّض الصاحب بن عبّاد للعقد ونقده اياه وقوله « هذه بضاعتنا رُدّت الينا » . ويظهر ان اكثر الذين نعوا على ابن عبد ربه عقده قد قصدوا الى هذه الناحية التي انتقدها الصاحب بن عبّاد ، اي عدم ذكر صاحبه اخبارًا كثيرة عن الاندلسيين . فقد ذكر المقّري ان ابا علي التميمي القيرواني ذكر لابن حزم الاندلسي في رسالة تعرّض فيها للاندلسيين ابن عبد ربه صاحبنا فاثنى على عقده ثناء قليلًا ثم قال: « انه يلحقه فيه بعض اللوم لاسيا اذ لم يجعل فضائل بلده واسطة عقـده ومناقب ملوكه يتيمة سلكه اكثر الحزّ واخطأ المفصل واطال الهزّ لسيفٍ غير مقصل وقعد به ما قعد باصحابه من ترك ما يعنيهم واغفال ما يهمهم » [٢]

ويذكر المقّري في موضع آخر ان القلفاط الشاعر معاصر ابن عبد ربه كان يتعرّض لابن عبد ربه ويهجوه ويسمي كتاب العقد حبل الثوم [٣] . واذا استثنينا هؤلاء نرى سائر المؤرخين والادباء يثنون على العقد وصاحبه خير ثناء .

هل لابن عبد ربه كتب غير العقد؟

والجواب نعم . والغريب اننا ، اذا استثنينا حاجي خليفة ، نرى ان كل

١) بستاني عدد ٨ : ج ١ ، ص و – ز
٢) المقّري (اوربة) ٢ : ١٠٦ ، وطبعة مصر ٣ : ٧٦٧
٣) « « ٢ : ٣٠ « « ٣ : ٨٣٢ ، غير ان الرواية في الطبعة المصرية مشوشة .

الذين تصدّوا لذكر شيء عن ابن عبد ربه من القدماء والمحدثين لم يلتفتوا الى هذا الامر . ولقد ذهب المرحوم جرجي زيدان الى ابعد من السكوت فصرح انه ليس لابن عبد ربه سوى العقد[1] . اما حاجي خليفة فقد ذكر في كتابه «كشف الظنون» كتاباً لابن عبد ربه غير العقد هو «اللباب في معرفة العلم والآداب» ثم قال : « للشيخ العلّامة احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي المتوفى سنة ٣٢٨ هـ اوله : الحمد لله على كل حال الخ »[2] وظاهر من كلام حاجي خليفة ان لا مجال يدفعنا الى ان نظن ان المؤلف غير صاحبنا .

٤

نثره

لم يترك لنا ابن عبد ربه آثاراً كثيرة من نثره . ومن يظنّ ان لغة العقد تمثل نثره فقد أخطأ . ذلك لان العقد مجموعة اخبار في مختلف العلوم والفنون نقلت عن رواة من عصور مختلفة روعيت في رواياتها المحافظة على الاصل من حيث صوغ العبارة . ولم يكن لابن عبد ربه فيها ، كما صرّح هو نفسه ، سوى فضل الاختيار وحسن الاختصار ، وما سواهما فمأخوذ من اقوال العلماء والادباء . ولقد يدلّ هذا التصريح من ابن عبد ربه على انه كان يرجع الى كتب دوّنت ينقل عنها ، وانه لم يأخذ عن احد شفاهاً بحيث يضطرّ الى سبك الخبر بلغته . ولعل المواضع الوحيدة في صلب عقده التي يصحّ لنا ان نظنّ انه حاك عبارتها بلفظه هي تلك الاخبار التي دوّنها عن امراء الاندلس ولاسيما المتأخرين منهم كالمنذر بن محمد ، وعبد الله ، والخليفة الناصر ، وتلك التي نقلها شفاهاً عن اساتذته بقي بن مخلد ، وابن وضاح ، والخشني ، وقليلة ما هي ! غير ان صاحب العقد قد صدّر كتابه بمقدمة من انشائه ، وفرش لصدار كل كتاب من كتب العقد الخمسة والعشرين بتوطئة من نثره دون ان يفوته التنبيه الى ذلك . زد

---

١) زيدان ٢ : ١٧٤

٢) حاجي خليفة (طبعة اوربة) ٥ : ٣٠٢

على هذا كله انه لم يخلُ العقد من بعض مواضع عثرنا فيها على عبارات مقتضبة وجيزة يقتضي سياق الكلام فيها ان تكون من صوغه.

وزى – اذا جاز لنا ان نحكم من هذا القدر القليل الذي بين ايدينا – ان انشاء ابن عبد ربه يمتاز بالوضوح اذا قورن بانشاء ابي الفرج الاصبهاني صاحب كتاب « الاغاني » الكبير ، وبالرقة من حيث اللفظ ، والترتيب من حيث المعنى اذا قوبل بنثر الجاحظ . ولعله اشبه باسلوب ابن قتيبة وانته . ولا عجب فقد اكثر ابن عبد ربه من الدرس في كتب ابن قتيبة ، واكثر من الاخذ عنها . ولقد مرّ معنا انه كان يتأثر ابن قتيبة في طريقته وأنّ عقده ، لولا قليل ، لكان معارضة لعيون اخباره . ولعلّ من الخير ان نظهرك على قطع من انشائها ، ولتكن من مقدّمتي هذين الكتابين قال ابن عبد ربه :

« وتطلبت نظائر الكلام ، واشكال المعاني ، وجواهر الحكم ، وضروب الادب ، ونوادر الامثال ، ثم قرنت كل جنس منها الى جنسه ، فجعلته باباً على حدته . ليستدلّ الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ، ونظيره من كل باب ، وقصدت من جملة الاخبار ، وفنون الآثار ، الى اشرفها جوهرًا ، واظهرها رونقاً ، والطفها معنى ، واجزلها لفظاً ، واحسنها ديباجة ، وأكثرها طلاوة وحلاوة . » (١

وقال ابن قتيبة :

« نظمتها لمغفل التأدب تبصرة ، ولاهل العلم تذكرة ، ولسائس الناس ومسوسهم مؤدباً ، وللملوك مستراحاً من كدّ الجدّ والتعب ، وصنفتها ابواباً ، وقرنت الباب بشكله ، والخبر بمثله ، والكلمة باختها ، ليسهل على المتعلم علمها ، وعلى الدارس حفظها ، وعلى الناشد طلبها ، وهي لقاح عقول العلماء ، ونتاج افكار الحكماء ، وزبدة المخض ، وحلية الادب واثمار طول النظر . » (٢

وقال ابن عبد ربه في موضع آخر من المقدمة :

« وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة ، فوجدتها غير متفرقة في فنون الاخبار ، ولا جامعة لجمل الآثار ، فجعلت هذا الكتاب كافياً جامعاً لاكثر المعاني التي تجري على افواه العامة والخاصة ، وتدور على السنة الملوك والسوقة ، وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر ، تجانس الاخبار في معانيها ، وتوافقه في مذاهبها . » (٣

١) ابن عبد ربه ١ : ٢
٢) « « ١ : ٤
٣) ابن قتيبة ١ : صفحة ى

وقال ابن قتيبة في مقدمة كتابه :

«ولم أرَ صوابًا ان يكون كتابي هذا وقفًا على طالب الدنيا دون طالب الآخرة ولا على خواص الناس دون عوامهم ولا على ملوكهم دون سوقتهم ، فوفيت كل فريق منهم قسمه ، ووفّرت عليه سهمه ، واودعته طرفًا من محاسن كلام الزهّاد في الدنيا ، وذكر فجائعها والزوال والانتقال ، وما يتلاقون به اذا اجتمعوا ، ويتكاتبون به اذا افترقوا ، في المواعظ والزهد والصبر والتقوى واليقين واشباه ذلك ، لعلّ الله يعطف به صادفًا ، وباطر على التوبة متجانفًا ، ويردع ظالمًا ويلين برقائقه قسوة القلوب.» ١)

ولعل كلا ابن عبد ربه وابن قتيبة قد تأثر بالجاحظ من ناحية استعمال الجمل المقتضبة الوجيزة المتوازنة بعضها مع بعض ، والتي لم يلتفت فيها كثيرًا الى السجع ، ولكنهما لم يبلغا مبلغه ولم يوفقا توفيقه . ويظهر ان ابن عبد ربه قد امتاز على ابن قتيبة في رقة العبارة وسلاستها رغم ان الفرق قليل ، ولعله ايضًا قد وفّق اكثر من رفيقه في التأثر بالجاحظ من حيث قصر العبارات واتزانها بعضها مع بعض ، وربما من الخير ان تقابل ما ذكرنا لكليهما مع ما سيأتي للجاحظ .

قال في مقدمة كتابه « المحاسن والاضداد » :

« الكتاب نعم الذخر والعدة ، والجليس والعمدة ، ونعم النشرة ، ونعم النزهة ، ونعم المشتغل والحرفة ، ونعم الانيس ساعة الوحدة ، ونعم المعرفة ببلاد الغربة ، ونعم القرين والدخيل والزميل ، ونعم الوزير والنزيل ، والكتاب وعاء ملئ علمًا وظرف حشي ظرفًا ، واناء شُحنَ مزاحًا ، ان شئت كان اعيا من باقل وان شئت كان ابلغ من سحبان وائل ، وان شئت سرتك نوادره ، وشجتك مواعظه ، ومن لك بواعظ مله ، وبناسك فاتك ، وناطق أخرس . . . ومن لك بشيء يجمع الاول والاخر ، والناقص والوافر ، والشاهد والغائب .» ٢)

ومهما يكن من الامر فانّا نرى انه ليس من الضروري ان يكون ابن عبد ربه او ابن قتيبة قد تأثر بالجاحظ خاصةً او بكاتب خاص آخر غير الجاحظ ، حيث اننا نرى اكثر الادباء في صدر الدولة العباسية كسهل بن هرون ، وابرهيم الصولي ، وعبد الحميد الكاتب ، وابن المقفع (الى حدٍّ ما) قد اتبعوا هذا الاسلوب الكتابي المتوازن العبارات وكتبوا رسائلهم الادبية فيه . ولقد

---

١) ابن قتيبة ١ صفحة ك ٢) الجاحظ م : صفحة ٤

تقيد ابن عبد ربه بهذا الاسلوب في فرش دور كتبه اكثر مما تقيد في مقدمة العقد نفسه : قال في مقدمة كتاب الفريدة في الحروب :

«قد مضى قولنا في السلطان وتعظيمه ، وما على الرعية من لزوم طاعته ، وادامة نصيحته ، وما على السلطان من العدل في رعيته ، والرفق باهل مملكته ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه ، في الحروب ومدار امرها ، وقود الجيوش وتدبيرها ، وما على المدبّر لها من انتهاز الفرصة ، والتماس الغرة ، واذكاء العيون ، وافشاء الطلائع ، واجتناب المضايق ، والتحفظ من الدسيسات ، واحكام معرفته ، وطول تجربته لمقاساة الحروب ، ومعاناة الجيوش ، وعلمه ان لا درع كالصبر ، ولا حصن كاليقين . » (١

وقال في مقدمة كتاب السلطان :

« السلطان زمام الامور ، ونظام الحقوق ، وقوام الحدود ، والقطب الذي عليه مدار الدنيا ، وهو حمى الله في بلاده ، وظله الممدود على عباده ، به يمتنع حريمهم ، وينتصر مظلومهم ، وينقمع ظالمهم ، ويأمن خائفهم . » (٢

وقال في فرش كتاب الوفود :

« . . . فانها مقامات فضل ، ومشاهد حفل ، يتخير لها الكلام ، ويتهذب الالفاظ ، ويتجزل المعاني ، ولا بدّ للوافد عن قومه ، ان يكون عميدهم وزعيمهم الذي عن قوته (كذا) يترعون ، وعن رأيه يصدرون ، فهو واحد يعدل قبيلة ، ولسان يعرب عن السنة ، وما ظنك بوافد قوم يتكلم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم او خليفته او بين يدي ملك جبار في رغبة او رهبة ، فهو يوطد لقومه مرة ويتحفظ عن امامه اخرى ، اتراه مدخراً نتيجة من نتائج الحكمة ، او مستبقياً غريبة من غرائب الفطنة ، ام تظن القوم قدموه لفضل هذه الخطة ، الا وهو عندهم في غاية الحذلقة واللسانة وجمع الشر والمطابة . » (٣

وقال في فرش كتاب الياقوتة الثانية :

« . . . وكرهنا ان يكون كتابنا هذا بعد اشتماله على فنون الاداب والحكم والنوادر والامثال ، عطلاً من هذه الصناعة التي هي مراد السمع ، ومرتع النفس ، وربيع القلب ، ومجال الهوى ، ومسلاة الكئيب ، وانس الوحيد ، وزاد الراكب لعظم موقع الصوت الحسن من القلب ، واخذه بمجامع النفس . » (٤

وانا لنلاحظ هذا الاتزان في عبارته ، في الجمل والفقرات الصغيرة التي نثرها في العقد عند تعليقه على خبر او تعرّضه لراو كان يقول مثلاً :

---

١) ابن عبد ربه ١ : ٣٥

٢) ابن عبد ربه ١ : ٤

٣) 〃 〃 ١ : ١٣٤

٤) 〃 〃 ٣ : ٢٢٩

« ومن الشعر المطبوع الذي يجري مع النفس رقة ، ويؤدي من الضمير ابانة . . . » (١ او « وهذا في قدم الشعر وحديثه ، وطارف الكلام وتليده ، أكثر من ان يحيط به وصف او يأتي من ورائه نعت . » (٢ او « وما سمعت بالطف معنى ، ولا اكمل ادباً ، ولا احسن مذهباً ، في مسائلة الملوك من شبيب بن شبة وقوله لابي جعفر اصلحك الله ، اني احب المعرفة واجلك عن السؤال : فقال له فلان بن فلان » (٣

اما اذا اقتضى الامر شيئاً من الشرح او الاستدلال او الاسهاب فاننا نرى ابن عبد ربه يتفلت شيئاً ما من قيود هـذا التوازن بين العبارات ، فيرسل الكلام في بعضها ويراعي التوازن في البعض الآخر . قال :

« وما رأيت اعجب من ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب انه ذهب فيه كل مذهب من فضائل العرب ثم ختم كتابه بمذهب الشعوبية فنقض في آخره كل ما بنى في اوله . » (٤

وقال في امر الشعر نصف بيت قالته العرب :

« وهذا ما لا يدرك غايته ولا يوقف على حدّ منه والشعر لا يفوت به احد ولا يأتي بـه بديع الا اتى ما هو ابدع منه ولله در القائل اشعر الناس من ابدع في شعره . » (٥

وقال :

« وما سمعت في صفة الدنيا والسبب الذي يحبها له الناس لاجله بابلغ من قول القائل . . . فذكر أن الناس بنو الدنيا وما كان الانسان منه فهو محبّب اليه واعلم ان الانسان لا يحب شيئاً الا ان يجانسه في بعض طبائعه وان الدنيا جانست الانسان في طبائعه كلها فاحبها بكل اطرافه . » (٦

وقال في باب اخبار خلفاء بني امية في الاندلس :

« ثم ولي الملك القمر الازهر ، الاسد الغضنفر ، الميمون النقية (٧ ، المحمود الضريبة (٨ سيد الخلفاء وانجب النجباء عبد الرحمن بن محمد امير المؤمنين . . . فتولى الملك وهي جمرة تحتدم ، ونار تضطرم ، وشقاق ونفاق ، فاخمد نيرانها وسكّن زلازلها ، وافتتحها عوداً كما افتتحها بدءاً سميه عبد الرحمن بن معاوية رحمه الله وقد قلت وقيل في «اشعاره» [لعلّها زائدة] غزواته كلها اشعار قد جالت في الامصار وشرّدت في البلدان حتى اتهمت وانجدت واعرقت ولولا ان الناس مكتفون بما في ايديهم منها لاعدنا ذكرها او ذكر بعضها ولكنا سنذكر ما سبق الينا من مناقبه التي لم يتقدمه اليها متقدم ولا اخت لها ولا نظير . » (٩ . وقال ايضاً :

١) ابن عبد ربه ٣ : ١٧٢ — ٢) ابن عبد ربه ١ : ٢١٤
٣) « « ١ : ٢٨٨ — ٤) « « ٢ : ٨١
٥) « « ٣ : ١١٨ — ٦) « « ١ : ٣٢٣
٧) وردت خطأ « النقية » والنقيبه بمعنى النفس والعقل .
٨) الضريبة بمعنى السجية والطبيعة — ٩) ابن عبد ربه ٣ : ٣٦٣

« ومن مناقبه ان الملوك لم تزل تبني على اقدارها ويقضى عليها بآثارها ، وانه بنى في المدة القليلة ما لم تبن الخلفاء في المدة الطويلة ، نعم لم يبقَ في القصر الذي فيه مصانع اجداده ومعالم اوليته بنية الاوله فيها اثر محدث اما تزييد او تجديد ، ومن مناقبه انه اول من سمي امير المؤمنين من خلفاء بني امية بالاندلس ومن مناقبه التي لا اخت لها ولا نظير ما اعجز فيه من بعده وفات فيه من قبله من الجود الذي لم يعرف لاحد من اجواد الجاهلية والاسلام الا له .»[1]

ويظهر من بعض المواضع في عقده انه كان يرغب في اللفظ السهل قال : « ومن قولنا نمدح رجلًا باستسهال اللفظ وحسن الكلام .»[2] وانه كان يرغب عن التكلف ، قال : « فانما مدار كل شيء على طبعه والتكلف مذموم من كل وجه .»[3] وانه كان يحب الايجاز ويرى الفضل كل الفضل فيه قال : « اذ كان اشرف الكلام كله حسناً واوقعه قدرًا واعظمه من القلوب موقعاً ، واقله على اللسان عملًا ، ما دلَّ بعضه على كله ، وكفى قليله عن كثيره ، وشهد ظاهره على باطنه ، وذلك ان تقلّ حروفه وتكثر معانيه .»[4] وانه كان يرى للاطناب موضعاً ، ولكنه يفضل الاختصار في الجملة عليه قال : « ومن كلام العرب الاختصار والاطناب والاختصار عندهم احمد في الجملة ، وان كان للاطناب موضع لا يصلح الا له .»[5] وقد جمع اكثر هذه الامور التي تمثل رأيه في الانشاء بقوله عن كلام الاعراب : « اشرف الكلام حسناً واكثره رونقاً ، واحسنه ديباجة ، واقله كلفة ، واوضحه طريقة .»[6]

والخلاصة انه يستدل مما ذكرنا عن رأي ابن عبد ربه في هذا الموضوع ، ومن هذا القدر القليل من نثره الذي ذكرنا لك بعض نماذج منه [اذا جاز لنا الاكتفاء بها] على ان ميزات اسلوبه الكتابي تشمل الايجاز في الكلام ، وسلامته من الفضول ، وبراءته من التعقيد ، وبعده عن التكلف ، وسهولة الفاظه ، وعذوبتها ، واتزان عباراته ، وحسن سبكها ، وعدم استعمال الغريب من المفردات . وان ابن عبد ربه في نثره ، كما نراه في شعره ، رقيق اللفظ جزله ، واضح التعبير ، سائغ الفهم .

(له صلة)

---

١) ابن عبد ربه ٢ : ٣٦٢
٢) ابن عبد ربه ١ : ٣٠٠
٣) « « ١ : ٣٠١
٤) « « ٢ : ٣٠٢
٥) « « ٢ : ٣٠٢
٦) « « ٢ : ٩٢

المثلّث الاموي

الاخطل — الفرزدق — جرير

محاولة مختصرة في الموازنة بينهم

بقلم فؤاد افرام البستاني استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

الاخطل والفرزدق وجرير اشهر شعراء العصر الاموي ، بل افضل ممثّلي الادب في ذاك العصر . عريقو الاصل ، يمّتون بالصلة المتينة الى قبائل لها تأثيرها وخطرها في المجتمع اذ ذاك . بدويّو النشأة ، عرفوا الحضارة الجديدة واتصلوا بها ، ولكن على تفاوت . فكان الاخطل اقربهم الى الاخذ بمرافقها ، ثم الفرزدق ، واخيرًا جرير الذي ظلّ على اتصال متتابع بالبداوة . نرى اثر هذا في خلوص عاطفته ، وصدق ايمانه ، وصحة تقواه ، وهو يجاهر باسلامه ، ويدافع عنه ، ويحياه في شعره . حتى يقيم من العاطفة الدينية مادّة للفخر ، وعونًا على الهجاء ، فيهجو الفرزدق بعدم تديّنه وفساد عقيدته :

هو الرجس ، يا اهلّ المدينة ، فاحذروا   مداخل رجس بالخبيثات عالمِ

ويهجو الاخطل بنصرانيّته .

على ان هذه النصرانية لم تكن تمنع الاخطل من الاضطلاع بملاهي العصر ومفاسده احيانًا . فقد استعمل الطلاق ، واسترسل في الملذّات . الا انه ظلّ مذعنًا لنواهي الدين ، خاضعًا لرجاله ، فلم يستهتر ، ولم يجاهر بالمروق عن الشرائع لا في شعره ولا في سلوكه ، كما قد نرى في حياة زميله الفرزدق . فان هذا كان سيّئ السلوك ، فاسد العلاقات ، مجاهرًا باستهتاره ، مضطرب الاخلاق على الغالب ، يكاد لا يخلص لمبدأ ، الا في ما خصّ امامة العلويين . فكان ، من حيث السياسة الحزبية ، شديد التعصب لآل البيت حتى يمكن اعتباره « شاعر العلويين » ، كما نعتبر الاخطل «شاعر الامويين» . وكما ان الفرزدق دافع بكل جرأة عن زين العابدين وآله في وجه هشام بن

عبد الملك، كان الاخطل لا يتراجع عن الانتصار للامويين حتى في وجه الانصار. وإذا فكل منهما شاعر دين وشاعر سياسة، على فرق ان الاخطل كان يتكلّم عن حقّ الامويين بالامامة الدينية، وهو لا يهمّه من ذلك الا حكمهم السياسي. اما جرير فقد مدح الامويين مدحه خلفاء العصر، وارباب الدولة، كأنه تجاه امر واقع، دون ان يهتمّ، اهتمامَ الاخطل، بتأييد حقهم او مناقشة اعدائهم. وقد مدح كذلك ولاتهم وامراءهم. فيكون الفنّ الاول، الذي يمكن ان نوازن فيه بين هؤلاء الشعراء الثلاثة، فنّ المدح.

المدح

وموضوع المدح المشترك بينهم واحد، هو بنو امية. فاذا حدّدنا موقف كل منهم من الدولة المالكة نكون قد عملنا نوعاً ما على تحديد اخلاصه في العاطفة المدحية.

اما الاخطل فهو «شاعر بني امية» بلا خلاف، على قول الخليفة عبد الملك. لم يكن يدين بدينهم، ولكنه جُذب الى حزبهم السياسي، وقد يكون ذلك رهبةً منهم او رغبة في مالهم اول الامر. على ان ما يمكن تأكيده هو ان هذا الحزب السياسي الاموي اصبح جزءاً من عقائد الاخطل، حتى انه كان يدافع عن الامويين كما يدافع عن قومه انفسهم، ويهجو اعداءهم كما يهجو اعداءه الشخصيين. فاذا مدحهم ذكر كرمهم وشجاعتهم وسائر ما يتصل بذلك من اساليب المدح القديمة. ثم خصّ القسم الكبير من مدحه بالصفات التي عُرف بها الامويون كالحلم، وقوة الارادة، وحسن التدبير، وضبط الامور :

شُمسُ العداوة حتى يستقاد لهم، واعظم الناس احلاماً، اذا قدروا

ولم يُغفل ان يتوسّع في حقهم من الخلافة، ملمّحاً احياناً الى ضعف اعدائهم وعدم اهليّتهم لادارة الملك، ومصرّحاً احياناً اخرى بافضلية أميّة على كل من يدّعي الامامة، غير تارك شيئاً من اساليب الفخر بالامويين، والحطّ من مناوئيهم بالهجو اللاذع والتهكم الهدّام. حتى يظهر من هذه الناحية مُناضلاً سياسياً. ذا اطلاع واسع على طرق المنافسات الحزبية، فيتبوأ، عن جدارة واستحقاق، المركز الاول بين الشعراء السياسيين.

واما الفرزدق فاننا نظلمه اذا حكمنا على مدحه بقصائده في بني امية ، وهو ذو مذهب سياسي غير مذهبهم ، يرى الحقّ بالخلافة للعلويين ، ويرى ذلك عن اخلاص ، وحسن نيّة ، وصحة مبدأ . وما كنا لنناقشه في اخلاصه ومبداه . ولكن هذا لا يمنعنا ان نتحقق انه كثيراً ما كتم هذا المبدأ ، فمدح من كان يعتبرهم خلفاء غير شرعيين . فكان في مدحه للامويين غير مخلص بالطبع ، يتكلّف الامر تكلّفاً ، فيبدو على شعره مسحة من الاضطراب والتفتيش عن المخارج . انما يجب علينا القول ، انصافاً لاخلاصه ، انه في مدحه هذا لم يتطرّق الى هجو اعداء الامويين ، ولم يبالغ في الاشادة بحق امية الشرعي ، كما فعل الاخطل . بل اكتفى غالباً بمدحهم ملوكاً ذوي حسب معروف ، وكرم فيّاض .

اما اذا دفعناه في طريق مبدأه فهناك العاطفة المخلصة تتجلى بالمدح الفخم ، فيتخلّص الشاعر من كل تكلّف الى مجال الطبيعة الحقّة ، واذا امامنا مدح زين العابدين :

يُغضي حياءً ويُغضى من مهابته فما يُكلَّم الا حين يبتسم

يجمع فيه الفرزدق بين الصفات الخارجية والصفات الداخلية ، بين المدائح التقليدية بالكرم والشجاعة ، والمدائح الجديدة بحسن التديّن والتقوى والطهارة . فكأنه يقيم من ذلك مشهداً تامّاً للمدح يقابل به المشهد التامّ الذي أقامه الاخطل في مدح بني اميّة . وهنا نلاحظ اختلافاً في شيء من مواد هذين المدحين المخلصين : من ذلك ان الاخطل ، في اشادته بذكر مناقب الامويين الدينية ، لا يهتمّ بتقواهم ولا بطهارتهم ، اولاً لانهم لم يكونوا على شيء منهم من ذلك ، وثانياً لانه ، وهو الشاعر النصراني ، لم يكن يكترث كثيراً لهذه الصفات في خلفاء الاسلام . ومن ذلك ان الفرزدق ، في تعداده مناقب زين العابدين وآله وذكر حقهم من الخلافة ، لا يذكر حزمهم وحسن تدبيرهم وشدة ضبطهم للامور ، وهي من الصفات المهمّة في الحكم ومن التي افاض فيها الاخطل في ذكر ممدوحيه . ذلك ان العلويين لم يكونوا على شيء يذكر من ذلك . فاكتفى الفرزدق باستنتاج هذا الحقّ من نسب الممدوحين واتصالهم بالنبي :

هذا ابن فاطمة ، ان كنت جاهله !

وموقف الفرزدق هذا يبرّر اعراض الامويين عنه ، وعندهم الاخطل . فلم يبقَ له اذاً الّا ان يعتزل البلاط الملكي ، فيكثر الاختلاف الى مدن الحجاز حيث كانت اكثرية العلويين.

واننا لنتحقق الامر نفسه من اعتزال البلاط والانصراف عن دمشق في جرير . ولم يكن من نصيب هذا ان يحظى عند الخلفاء ، قبل عمر بن عبدالعزيز ، اي قبل وفاة الاخطل . لا لانه لم يمدحهم ، بل لان الاخطل كان مستأثراً بهم دونه ، ولانه لم يناضل عنهم مناضلة الاخطل ، بل كان من المتهمين بالنعرة الزبيرية وبالتالي من المعرّضين لسخط بني امية . فكان اذا مدحهم ذكر الشجاعة ، والبطش ، والكرم خاصة ، واعتذر عن نزعته القديمة ، ثم لّمح تلميحاً عاماً الى صفاتهم الدينية ، دون ان يبرهن عن حقهم بالخلافة . ولم يكن من المنتظر ان شاعراً يسلك هذه الطرق المدحية وحدها ، ينافس الاخطل في مركزه . ولهذا نراه ينصرف الى مدح امراء الدولة وولاتها كالحجّاج بن يوسف . وهو في اكثر مدحه لا يتعدّى الاوصاف التقليدية . ولا يمكنه في ايّ حال ان يساوي الاخطل في مدحه الاموي ، او الفرزدق في مدحه العلوي.

الهجاء ولكنه ان انحطّ عن زميليه في المدح ، فانه كثيراً ما ساواهما ، وقليلاً ما فاقهما في الهجاء.

كان في طبيعته تيقّظ غريب للاطلاع على مساوئ الناس ، وانتباه عجيب لمواطن النقص فيهم ، ومقدرة على بسط هذه النواقص والمخازي ، بعدها عدم التحرّج في اختراع ما لا وجود له منها . ويخدم كل ذلك عاطفة قويّة ، ولغة سهلة ، ونفس سيّال ؛ فيؤلف امثل شخصية هجائية عرفها العصر الاموي . زد على ذلك ما كان يُذكي هذه الشخصية من ظروف العصر ، ادبيةً كانت ام سياسية ، واذا انت امام اجلى مظهر للهجو الادبي . ونريد بالهجو « الادبي » كونه احد الفنون الشعرية ، لا كونه مطابقاً لاصول « الادب » وقواعد الاخلاق . فان هذا الهجو « الادبي » كثيراً ما كان يخرج الى السباب والشتائم ، ولا سيما بين جرير والفرزدق ، فيولّد مادّة النقائض المهنة . وان من يطلع عليها يرى مثالاً لما

بلغ اليه انحطاط الاخلاق في هذين الشاعرين، فاصبحا يتقاذفان اسفه التعابير واسفل المعاني، ولا مبرّر لذلك الّا كونها منظومة شعرًا، وشعرًا فنيًا بعض الاحيان. حتى لم تبقَ اهانة لاحقة بالاصل او بالنسب او باسرة الشاعرين من اخوة واخوات وآباء واجداد او بسلوكهم جميعًا، صحيحةً كانت ام مكذوبة، الا وجدت محلًا في تلك النقائض. فضلًا عن ان هذه الشتائم الكثيرة الالفاظ، القليلة المعاني، كانت تتراجع دائمًا حتى الاملال، يزيدها فخر الشاعر بنفسه وبآبائه وبشعره وبكل ما يتصل به. يستعمل الفرزدق ذلك، فيردّه عليه جرير، ويبدأ به جرير، فينقضه الفرزدق. حتى اصبح لنا مشهدان محدّدان ورسمان مقرّران يمثل الاول جريرًا اشرف الناس والفرزدق اسفلهم، ويمثل الثاني عكس هذا المشهد بالتمام. الا ان هنالك اختلافًا بالطريقة. فان من يدرس اهاجي الفرزدق يتمثل لديه رجل جبّار يحمل الصخرة العظيمة فيهوي بها على رأس خصمه، حتى اذا خال نفسه قاضيًا عليه، واصبح المطالع منتظرًا هرس الخصم، اذا بهذا يتسلل برفق ولباقة من تحت هذه الصخرة وينظر الى خصمه بخفّة واستهزاء، فيتهكم التهكم المرّ، ويحوّل عاطفة الحاضرين من الشفقة عليه الى الهزء معه من ذلك الخصم الجبّار:

زعم الفرزدق ان سيقتل مربعًا ، أبشر بطول سلامة، يا مربعُ!

فيكون فنّ جرير بالانتباه، كما قلنا، للامور الدقيقة واستغلالها على طريقة لطيفة من الهزء والتهكم. فيرضي الناس، ويجذبهم اليه، فيحفظون شعره ويتداولونه، واذا جميعهم من حزبه.

ثم هو، في كثير من الاحيان، ينال بغيته على طريقة غير مباشرة كما في قوله:

لما وضعتُ على الفرزدق ميسمي ، وعلى البعيث، جدعتُ انف الاخطل.

على انه لم يكن من السهل على جرير ان يجدع انف الاخطل، وهو القائل عنه: «قد ادركته وله ناب واحد، ولو كان له ناب آخر لاكلني به» يدلّ بهذا على ما كان للاخطل من ذكر بعيد واسم رفيع وشهرة واسعة في جميع انواع الشعر حتى الهجاء. ولعلّ من العوامل التي دفعت جريرًا الى التحكك بالاخطل رغبة الشهرة وطمع التفوّق على اكبر شعراء ذلك العصر. الا ان السبب المباشر

كان ان الاخطل حكم على الشاعرين بقول ظلمه جرير مجحفاً بحقه . فلم يرضَ بالحكم ، واستغلّ الامر على طريقته المعروفة من صرف الحادثة الى مجال التهكم والازدراء بالمهجو ، فقال :

يا ذا النباوة ، ان بشرًا قد قضى ان لا تجوز حكومةُ النشوان .

ثم اتصل الهجاء بينهما ، على اجتهاد من ناحية جرير ، وكسل من جهة الاخطل . فكأنه كان يتكلّف الردّ عن نفسه لا مهاجمة خصمه . حتى يمكن القول ان موقفه كان دفاعياً وموقف خصمه هجومياً . يتضح هذا لمن يطالع نقائض جرير والاخطل . ولعل في دين كل من الشاعرين ، ونسبة قبيلته الى الدولة المالكة ، ما كان يولّد هذا التباين . فان اسلام جرير كان يفسح له ، في هجاء خصمه النصراني ، مجالًا لا يراه هذا في تلك الدولة الاسلامية . وان مضريّة جرير كانت تسهّل له ، للنيل من اعراض تغلب بل ربيعة ، اساليب لا تسهل للاخطل في تلك الخلافة القرشية المضرية . وهذا ما انتبه له احد الشيبانيين فقال للاخطل : « ان جريرًا يبسط لسانه بما ينقبض عنه لسانك ، ويسبّ ربيعة سبًا لا تقدر على سبّ مضر بمثله ، والملك فيهم والنبوّة قبله . » وهذا ما لاحظه ايضاً عمر بن عبد العزيز فقال : « ان الاخطل ضيّق عليه كفره القول ، وان جريرًا اوسع عليه اسلامه قوله . » بيد ان الاخطل بلغ ، مع ذلك ، من جرير مبلغاً بعيدًا . وكان ، على اخذه بالطرق المعروفة من الفخر بالنفس وشتم الخصم ، يترفّع نوعاً عن البذاءات التي كان يصل اليها جرير . الا ان شعر هذا كان اسير بين العرب لما كان يتصف به من تلك النكات الدقيقة ، ولما كان يمدّه فيها من العاطفة ، وهي عنده اوفر منها عند زميله .

الرثاء وهذه العاطفة هي التي جعلت من رثائه فنًا شعرياً حقًا سما به على رفيقيه بلا خلاف . حتى اننا اذا طالعنا اليوم رثاءه لامرأته ، على قلة اعتبار النساء في ذلك العصر ، نجد شاعرية فيّاضة بالعاطفة المخلصة والحسّ اللطيف والذكريات الغنيّة مما يكاد يفتخر به ارقّ شعراء العصر ؛ واننا لنعجب بذاك الاخلاص الذي دفعه الى الارتفاع فوق زمانه ، فقال :

لولا الحياءُ لعادني استعبارُ ، ولزرتُ قبركِ ، والحبيبُ يزارُ !

ومن الكافي ان يكون جرير قد افتخر ، في ذلك العصر ، بزيارة قبر امرأته ، وعبّر عن هذه الفكرة بطريقة مخلصة ساذجة ، للدلالة على وصوله في الشعر الرثائي الى درجة لم يصل اليها الفرزدق الجافّ العاطفة ، ولا الاخطل الذي لم يكن الموت ليوفر له الموضوعات الجديرة بشعره الفخم .

الغزل

وكثيرًا ما رغب الفرزدق في مثل عاطفة جرير ، لا للاجادة في الرثاء ، بل للرقة والتلطّف في الغزل . وغايته ان يستميل النساء اللواتي كنّ ينفرن من غزله الصلب وتشابيهه الضخمة المتراكمة كالصخور في موضوع يجدر بصاحبه ان يذوب فيه رقة واطفاً . فضلاً عن ان الفرزدق كان اكثر حاجة الى الرقة من جرير ، لانه كان اوفر تعهّرًا واشد فسقاً ، على قوله ؛ ولما لم يكن يترصّل الى ذلك كان يستعيض بوصف حوادث ومغامرات نترفع عن الاشارة اليها. وقد استغلّ جرير هذه المواقف ، في هجائه الفرزدق ، فاقام الحجة عليه من شعره حتى نفاه والي المدينة .

اما غزل جرير ، فكان على رقة عاطفته ، اوفر عفة ، واقلّ قذفاً بالمحصنات .

واما الاخطل فقد استعمل الغزل على طريقة الاقدمين دون ان يتعهّر ، ودون ان يرقّ . وكان كثيرًا ما يستعمل هذا النوع ، لا عن دافع خاصّ ، بل اسلوباً ادبياً يوطّئ به للمدح .

الخمر

ولعله لم يكن ذا ميل الى هذا النوع من الشعر ، وقد ملكت عليه الخمرة عاطفته فحلّت في حياته محل دوافع الغزل ، فولدت في شعره بدائع جمة لا يمكن ان نوازن في موضوعها بينه وبين زميليه . ولا يخفى ان الشعر الخمري فنّ احياه الاخطل ، بعد ان كاد الاسلام يقضي على خمريات الاعشى وعدي ابن زيد : فوصف الخمرة في كثير من انواعها وصفاتها ، ووصف مفاعيلها في نفسه ، وفي غيره من الشاربين . كل ذلك باخلاص وطبعية ودقة تمهّد السبيل لوصف ابي نواس . ولو كان الاخطل قد افرد قصائد خاصة لهذا النوع لكان « شاعر الخمرة » قبل ابي نواس . على انه يجب الا ننسى تأثير البيئة في ذلك . فبينا نرى الاخطل يكتفي بالشرب حتى يسكر ، وقد يشرب مستعجلاً ، وقد يشرب واقفاً ، نرى ابا نواس يتمهّل في تسوية مجلس

الخمر بما يتطلّبه من ماء وازهار وفاكهة وغناء . فلا يصل الى النتيجة نفسها ، اي السكر ، الا بعد ان يكون قد استوفى ملاهي ومسرّات وفّرتها الحضارة العباسية ولم يكن ليجرؤ عليها شاعر نصراني في بلاط الامويين.

الفخر
الا ان هذا لم يمنع الاخطل ان يفتخر بالشرب ، حتى في المحيط الاسلامي ، فيقول :

ولكني سأشربها شمولا واسجد عند منبلج الصباح.

واذاً فقد كانت الخمرة موضوعاً من موضوعات فخره ، كما كانت لعمرو بن كلثوم ، ولعنترة ومن اليهما من الجاهليين.

ولقد افتخر الاخطل بغير الخمرة . فتناول موضوعات اشترك فيها وزميليه من شرف الاصل ، ونبل الحسب ، وفضل القبيلة ، وسيادتها القديمة . وكان يدلّ احياناً بخدمات قومه في سبيل الامويين. والفخر موضوع واسع كان يتنافس فيه وجريرًا والفرزدق ، فيتنازعون الاسبقية . ومن الصعب ان نشير الى اولهم في ذلك . وان كان لا بدّ من ذكر اكثرهم فخراً في الكمية ، ان لم يكن في الكيفية ، فاننا نميل بالارجح الى الفرزدق .

الوصف
وهناك موضوع آخر مشترك بين الثلاثة ، وهو الوصف . . . ولكن لم ينبغ فيه احد منهم نبوغاً يستحقّ ذكرًا خاصاً ، وان خاض فيه جميعهم فنجحوا بعض النجاح ، ولاسيا الاخطل . والسبب في ذلك ان فنّ الوصف لم يكن على تقدّم وازدهار في عصرهم .

***

صاحبهم
قال الاخطل عن الفرزدق :

ان الفرزدق صخرةٌ عاديّةٌ طالت ، فليس تنالها الاوعالُ.

قد يكون في هذا البيت تلميح الى جرير ، ورغبة في الحطّ من شأنه . على ان ما يهمنا الآن هو رأي الاخطل في الفرزدق . فنرى انه لم يهتمّ في شعر زميله الا بمظهر العظمة والسموّ . فهو يؤخذ بما في ذاك الشعر من تماسك الاجزاء ، وشدة الضبط ، وبروز المتانة ، فيشبّهه بالصخرة العادية اي القديمة الثابتة على كرّ الايام . ونحن اذا تذكّرنا ما يروى عن الاخطل من حكم على الفرزدق

وجرير : « الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من بحر » نرى ان الشاعر الحاكم لم يغيّر وجهة نظره . وهو على حقّ في ذلك . فان كان لقصائد الفرزدق ما يضمن لها البقاء ، فهو تلك الجزالة الرائعة التي تأخذ من قلب السامع ، او المطالع ، بجمال خاصّ يستند الى عناصر الكثرة والقوة وضخامة القسمات ، حتى ان الانسان يكاد ينسى ، وهو في تلك الحالة من الاعجاب ، دقائق الفنّ الضرورية ، وشروط التعبير الصحيح ، ولزوم السير على الاسلوب العادي . وكلها قواعد للصناعة لم يكن الفرزدق ليهتمّ بها دائماً ، لسوء الحظ . وقد انتبه اكثر النحاة لهذا الاهمال فنعوا على الشاعر هفواته العديدة . وكان يسرّ بعضهم ان الفرزدق ، في اهماله هذا ، يوفر لهم اسباب المشاحنة والتمحّل . على ان هذا الاضطراب في التعبير لم يكن عن جهل بالاساليب الصحيحة ، بل عن نفور فطري من طرق التهذيب والتنقيح . واذاً فيكون الفرزدق ، اذا اعتبرنا مجمل شاعريته ، شاعراً عبقرياً لا يخضع الا للالهام ، وليس له من الجلد ما يدفعه الى تثقيف هذه العبقرية . فهو ان اتاه الالهام ، نظم القصيدة الطويلة الرائعة بجملها ، وان لم يلبّه شيطانه كان « قلع ضرسه اهون عليه من نظم البيت الواحد . »

نقول هذا في الشعر الذي كان ينظمه طبيعياً ، والذي كان يقرن فيه قوة النفس باخلاص العاطفة ، فتندفع الكلمات اندفاع السيل ، وتتراكم التعابير يأخذ منها ما يشاء وما لا يشاء ، كما نجد في قصيدته الميمية في مدح زين العابدين . وكان ، في قوة اندفاعه يستعمل كثيراً من المفردات المهجورة والتعابير القديمة ، وان جافة صعبة ، حتى سُرّ به ارباب اللغة فقال يونس : « لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب . » الا ان هذا الجفاف لم يكن ليخفى عليه ، وكثيراً ما تمنى ان يتجنبه وان يكون له رقة جرير ، وكثيراً ما اراد ان ينقّح شعره ، وان يأخذ الجميل عن غيره . ولكنه لم يكن يفعل ذلك عن ثقافة مقرّرة ولا عن اسلوب مطّرد ، فظلّ شعره متفاوت الابيات : منها السخيف ، ومنها الرائع العالي يسير بين الناس سير المثل فيتداولونه تداولهم قطع النقود المصكوكة ، وهو لا يزداد على التداول الا جلاء ، كقوله :

ترى الناس ، ان سرنا ، يسيرون خلفنا؛ وان نحن اومأنا الى الناس وقّفوا .

او قوله :

ترى كلَّ مظلوم الينا فراره وجرب منا جهده كلّ ظالم.

او قوله ايضاً :

وكنّا اذا الجبار صعّر خدّه ، ضربناه حتى تستقيم الاخادع.

ولا حاجة الى تبيان ما في هذا الشعر من القوة والعظمة ، وهو مما لمحه الاخطل خاصة في حكمه . ولم يكن الاخطل ليلمح هذه الصفة خاصة ، لو لم يكن في نفسه ميل الى القوة والمتانة . وهو ما نتحققه في شعره.

فمّا لا جدال فيه ان الجزالة وطول النفس من صفات شعر الاخطل . وان كان هذا الشعر يقلّ قوة في بعض مفرداته عن شعر الفرزدق ، فانه يفوقه سلامةً وحسن سبك على طول قصائده . لان الاهمال الذي قصّر بالفرزدق في تنقيح شعره لم يؤثر في الاخطل . بل بالضد ، فان المؤرخين يؤكدون ان الاخطل كان يشتغل شعره ، وينقحه ، ويحسّن فيه ، حتى انهم يقولون: « كان اذا اجتمع له تسعون بيتاً اختار منها ثلاثين ». وهو يقول انه اقام في نظم « خفّ القطين » سنة كاملة . ومها يكن من ذلك فان هذا التنقيح افاد شعر الاخطل دقة تعبير ، وصحة تركيب ، واستمراراً على المتانة في القصيدة كلها مها كانت طويلة . ولهذا اجمع ارباب اللغة واسياد النحو على تقديم الاخطل على زميليه . فضلًا عن ان هذا التحسين اللازم وفر للاخطل تلك المطالع الجميلة التي تظهر في شعره اكثر منها في شعر الآخرين . ثم كان له سعة اطلاع على شعر القدماء ، ورغبة خاصة في شعر النابغة ، والنابغة من «عبيد الشعر» ، فاخذ بهذا الاسلوب ، وسار على خطة سابقه في مدح الملوك ، وفي تنقيح الشعر . وقد جمع الى هذه المقدرة في التعبير قوة في التصوير بزّ بها زميليه . فترك لنا تلك المسارح الفسيحة تلعب فيها حمر الوحش ، وتلك الاستدارات التشبيهية تظهر بها سعة الموصوفات . وهنا ايضاً يجب القول انه مدين بقسم من ذلك لاستاذه النابغة.

واذا جاز لنا ان نقايس بين القوى الشعرية التي امتاز بها كل من شعراء المثلّث الاموي فاننا نقول ان اضعفها عند الفرزدق والاخطل ، الشعور . اما اقواها عند الاخطل فالمخيّلة يهيمن عليها العقل . واما الفرزدق فكانت قواه تسير على غير

ضبط . فتارة يسيطر العقل في مدائحه الاصطناعية ، وطوراً تتقدم المخيلة في وصف مغامراته ، وحيناً يظهر الشعور في قصائده العاطفية ، وهي قليلة جداً .

اما اقرب الثلاثة الى الشعور فهو جرير . وهبته الطبيعة عاطفة رقيقة ووفرت له من الاحوال ما زادها نمواً ورقة فاستعملها في كل شيء.. في الدين: فكان مؤمناً مخلصاً ؛ وفي الحب : فكان زوجاً وفياً ، وكان والداً باراً ؛ وفي المديح : فكان شاعراً مسلماً ؛ وفي الهجاء : فكان جراحاً مؤلماً — وهذا نتيجة ما كان يشعر به من الالم اذ يشتمه الناس — وفي الفخر : فكان متحمساً حتى التهور .

وكأنه سكب من عاطفته شيئاً على مبناه . فكان اسلوبه سهلاً لطيفاً جذاباً يتجنب فيه الالفاظ الثقيلة والتعابير الجافية ، حتى سار شعره بين الناس بسهولة عجيبة . ولا يسير شعر بين الناس ، على الغالب ، الا اذا اتاهم عن طريق القلب . ولا يخفى ان الاسلوب صورة العاطفة اذا رقت رقّ ، واذا جفت جفا .

هذا في الشعر الفطري ، اي غير المصطنع ، وقد كان جرير في اكثر شعره فطرياً مطبوعاً حتى نُسب الى الاخطل قوله : « وجرير يغرف من بحر » اراد بالبحر تلك السهولة التي اتصف بها الشاعر ، وذاك الفيض الذي كان يمدّه كمن بحر واسع . الا ان هذه السهولة كانت تضعف ، وتُضعف الشعر ، كلما طالت القصيدة ، فتسفّ الابيات ، ويضطرب التعبير مقترباً من الركاكة . وكأنّ الفرزدق صوّر هذه الميزة في شعر مناظره على احسن صورة ، اذ قال : « وتضطرب دلاؤه عند طول النهر . »

وقد كان هذا الامر من الاسباب التي دفعت جريراً الى تقصير قصائده والاكتفاء بالمقاطع القليلة تسير بين العرب بسرعة البرق ، حتى غدا جرير عندهم اشعر الناس في الفخر ، والمديح ، والهجاء ، والنزل . ونحن اذا تدبّرنا اسباب هذا التفضيل نراها تعود الى السهولة في الفكرة ، والسلاسة في التعبير ، والبساطة في عرض الاقسام . وهي الصفات التي كان يعجب بها البدو ، لانها اوفق لفطرتهم ، واقرب لمثلهم الاعلى . وعليه فيكون جرير شاعر البدو ، والاخطل شاعر الحضر ، والفرزدق يهيم بعبقريته بين البيئتين .

الذكار المئوي لرحلة لامرتين الى الشرق



لامرتين في لبنان وسورية

تموز ١٨٣٢ — نيسان ١٨٣٣

بقلم اغناطيوس سركيس ق.ب.

٤

في الارز الخالد

لم يبقَ على لامرتين ، لتتم سياحته ، الا ان يزور لبنان الشمالي ويمتّع انظاره برؤية الارز الخالد « ارز الرب في لبنان » .

ففي ١٣ نيسان ، اذ رأى ان المركب (*L'Alceste*) لم يصل بعد من فرنسة ، استفاد من هذه الفرصة وسار بقافلته المتادة ، ليقوم بهذه السفرة الاخيرة في « وطن مخيلته . » . فمرّ في جبيل ، ونام ليلة في طرابلس . وفي الغد ، سار الى اهدن يصحبه شيخها وابنه وخيالته الذين جاؤوا لاستقباله ومرافقته في الطريق . وبعد ان قطعوا طرق كسروان الوعرة وقاسوا في مهاويها اخطاراً لم يتعودوها ، وصلوا في المساء الى اهدن حيث كان منزل الشيخ ، المعدّ لاستقبالهم ، قد غصّ باهل البلد ، الآتين للترحيب بالضيف الفرنسي . فاقاموا على اكرامه ليلة انس وفرح . ولما اصبحوا ارسل الشيخ روّاداً يتفقدون طريق الارز . فكان جوابهم ان الثلوج متراكمة فيها على علو اثني عشر قدماً . فاحزن ذلك لامرتين كثيراً ولكنه ترك حاشيته ، وركب احد احصنته القوية تصحبه بعض الخيالة اللبنانية ، ليلقي على الارز نظرة ولو من بعيد . فسار فوق الثلوج حتى اصبح من الارز على مئة ذراع . وهناك اذ لم يعد يمكنه التقدم ، جلس يتأمل تلك الاشجار الجبارة ، التي غالبت الزمان فغلبته ، وظلت تاجاً على مفرق لبنان . . .

لا ترى في افقها غير البحر والسماء.»[1] . ولكنه يأسف لان الارزات التاريخية لا تزال في تناقص . فقد عدّ السياح اربعين ارزة يدلّ حجمها على انها ترتقي الى العصور القديمة ؛ ثم اصبحت هذه الارزات ثلاثين ؛ ثم سبع عشرة ؛ ولم يبق منها الا سبع »[2] .

ارزة لامرتين

اما « اللوحة التذكارية » التي نراهـا اليوم على الارزة المعروفـة « بارزة لامرتين » . فقد « وضعتها جمعية الشبيبة البشراوية تذكارًا لمرور الشاعر الفرنسي العظيم دي لامرتين مع ابنته جوليا في ارز لبنان سنة ١٨٣٢ ، مهدية اليه الارزة التي حفر عليها اسمه واسم ابنته . تخليدًا لذكره المجيد في ٢٧/١٠/٧»[3]

ولكن لا لامرتين ولا جوليا دخلا الارز . اما هو فمنعته الثلوج عن بلوغه كما رأينا ؛ واما هي فتوفيت ولم تخرج من بيروت .

فجمعية الشبيبة البشراوية اعتمدت فيما يظهر على الكلمات المكتوبة على الارزة ذاتها وهي :

دي لامرتي : De Lamarti...

جوليا : JULIA

جيرامب : Geramb..

وقد اختلف الكتاب في معرفة من حفر هذه الكلمات ، وذهبوا في تأويلها مذاهب شتى . لذلك لا بد من كلمة جلية في هذا الموضوع ، ولو طال بنا المقال اكثر مما يسمح المقام .

قال البعض ان لامرتين كلف احد اصحابه بذلك . وقال آخرون ان كاهنا

---

١) الرحلة ٢ : ١٢٠

٢) الرحلة ٢ : ١٢٨ – لم يذكر لامرتين من هم هؤلاء السياح الذين اخذ عنهم هذه المعلومات .

٣) الكلمات التي بين مزدوجين هي نص اللوحة ذاتها مترجمًا عن الافرنسية .

افرنجياً من اصحاب الشاعر ، اسمه جيرامب صعد الى الارز قبل لامرتين وحفر فيه اسمه واسمي صديقه وابنته . وقال غيرهم : بل ان دي برسڤال (de Perseval) رفيق لامرتين هو حافر الاسماء . وكل هذه التأويلات بعيد عن الصواب ، اذ لو كان من ذلك شيء لدوّنه لامرتين في مذكراته ، وهو الحريص على كل ما يتعلّق بذكر ابنته .

ولقد كان من حظّ هنري بوردو ، الكاتب الفرنسي المعروف ، ان يقترب من الحقيقة بخطى واسعة . قال في محاضرته : (*Lamartine en Orient*) ما محصّله : لعل لامرتين ، بعد رجوعه الى بيروت ، اعرب عن اسفه لعدم بلوغه الارز ، واتّام رغبته في ان يخلد عليه اسم جوليا . فقد يكون اذن ان احد اصدقائه اللبنانيين سمع ذلك منه ، واذ تيسر له الصعود الى الارز ، اتم رغبة صديقه ، وفي ظني ان ذلك اكثر روعة مما لو كان لامرتين هو حافر الاسم بذاته .

وهذا التأويل يشرح لنا اللغز بكامله ، فيكون معنى الجملة : « جوليا دي لامرتين (De Lamarti . . . JULIA) ، على طريقة القلب اللاتينية) ، المتوفاة († : علامة الموت التي توضع في التواريخ بعد اسماء المتوفين) في شهر كانون الاول (Geramb : تحريف لفظة Decembre : دسمبر) »[1]

هذا ما كتبه بوردو سنة ١٩٢٣ .

ولكن « سر الارزة » انكشف له في ما بعد ، فاوضحه في مجموعته « رحالة الشرق » (*Voyageurs d'Orient*) التي نشرها سنة ١٩٢٦ .

وخلاصة الأمر ان راهباً افرنسياً ، اسمه الاب جيرامب ، لا يخلو من الغرابة في بعض طباعه ، كان سائحاً في لبنان سنة ١٨٣٢ ، فتعرف الى عائلة لامرتين . ولما كان كل غريب للغريب نسيباً ، لا سيما اذا كانا من وطن واحد ، اخذ الاب جيرامب يتردد الى بيت لامرتين في بيروت ، كلما سنحت له الفرص ، ليتسلى بمحادثة ابناء بلاده ، وليسلي ربة البيت وابنتها الصغيرة في غياب صديقه الشاعر .

(١ H. Bordeaux: *La Revue Générale, Bruxelles*, 1923, p. 407

وبلغ من اعجابه بلطف جوليا ونباهتها ورقة اخلاقها ، انه اخذ على نفسه ، اذا زار الارز ، ليحفرنّ على اعظم اشجاره اسم « جوليا وابيها الى جانب اسمه» وقد برّ بوعده. وما كان شهر ايلول من السنة نفسها حتى صعد الى اهدن ، فالارز ، وحفر على احدى شجراته العبارة التي نحن في شأنها : دي لامرتين . جوليا . جيرامب † (والصليب هو شعاره في الرهبنة) .

ولم يرد ان يخبر لامرتين بذلك قصد ان يفاجئه بهذا التذكار الودي اللطيف ، عندما يصعد بدوره الى الارز . لكن لم يتسنّ للامرتين ان يتمتع بعاطفة هذا الراهب الودية ، لانه لم يصل الى الارز كما رأينا . ولذا نراه لا يشير الى شيء من ذلك في كتاب «الرحلة» .

ومضت السنون ، حاملة في طياتها سرّ ارزة لامرتين ، حتى اتيح اخيرًا لهنري ، بوردو فاظهره للتاريخ بعد ان اخذه عن وثائق ومعلومات ثابتة ، هي حياة الاب جيرامب ومفكرات سياحته في الشرق[1] .

***

الرجوع الى فرنسة

رأينا ان لامرتين ، اذ كان على طريق بيروت راجعًا من دمشق ، استلم الرسائل التي تبشره بانتخابه عضوًا لمجلس النواب عن مقاطعة بيرغ (*Bergue*) . ويظهر ان هذه البشرى لم تفض في قلبه كثيرًا من السرور ، لان هذا القلب الكسير لم يعد يطيق حمل المنازعات السياسية . لكنه لم يرَ بدًّا من التلبية ، عرفانًا لجميل ناخبيه الذين وضعوا ثقتهم فيه ، ثم احياء لذكر والده الذي كان من رجال السياسة في البلاط الملكي[2] ولذلك نسمعه يتنهد بعد قراءة هذا النبأ ، قائلًا : « ساذهب ! ولكن كم اتمنى ان تبتعد عني هذه الكاس ! . . . »[3]

وفي ٢٥ نيسان من سنة ١٨٣٣ ، بعد ان سلم جثمان ابنته المحنط الى ربان

---

١) Voyageurs d'Orient. [Revue des deux Mondes. T. XXVIII, p. 66]

٢) صرّح لامرتين في مذكراته بهذين السببين (٢ : ١١٦) ولعل لذلك سببًا ثالثًا لم يرد ان يصرّح به ، وهو فقره الى مورد مالي ، غير الادب ، يعيش منه .

٣) الرحلة ٢ : ١١٦

المركب (L'Alceste) ليذهب به توًّا الى فرنسة، وقبل ارض الغرفة التي ماتت فيها بالألَّ اياها بدموعه، غادر بيروت بين دموع الاصدقاء والمعارف الكثيرين الذين جمعته واياهم هذه الرحلة. وتوجهت امرأته مع بعض الرفاق الى فلسطين لزيارة الاماكن المقدسة، علها تجد فيها بعض الدواء لجرح قلبها العميق. وكان الموعد ان ينتظر لامرتين قرينته في يافا حيث التقيا بعد بضعة ايام.

وحينئذٍ القى هذا الشاعر العظيم النظرة الاخيرة على جبال لبنان وسهول سورية وشواطئ فنيقية وفلسطين، على البلاد التي احبها حبًّا صادقًا، واستفرغ كل ما في بيانه الشعري الرقيق من عبارات المديح والاعجاب في سبيل وصفها.

ثم غاب منظرها من امام عينيه، غائصًا في الخضمّ الواسع، بيد ان صورتها بقيت مرسومة على لوحة قلبه، بما تحمله من التذكارات السارة والاليمة.

وكان في نيته ان يمر بمصر. لكن العواصف عاكسته فحملت مركبه الى جزيرة قبرس. فاتم طريقه الى القسطنطينية، حيث قضى شهرين، توجه بعدهما الى فرنسة في طريق البر.

٣

كتاب الرحلة الى الشرق

«لا احب اني ساكتب وصف رحلتي. وكل مرادي ان اجد تأثيرات خاصة، لا تتعلق بسواي!»

هذا ما كتب لامرتين في تموز سنة ١٨٣٢. ولكن لم يمضِ شهر نيسان من سنة ١٨٣٥ حتى تداولت الايدي كتابًا في اربعة مجلدات، عنوانه: «رحلة الى الشرق» «Voyage en Orient» بقلم الفونس دي لامرتين.

ذلك ان شاعرنا، بعد رجوعه الى فرنسة، لم تعد حالته المالية كثيرة الاتساع؛ وكان من جهة اخرى، قد دخل في نفسه بعض الآراء الفلسفية والسياسية والاجتماعية الجديدة. فلهذين السببين، عزم على طبع مذكراته: ليحصل من ريعها ما يفي بمصاريفه؛ وينشر آراءه بين معاصريه.

ولقد نال الكتاب نجاحًا عظيمًا وتوالت طبعاته مرارًا؛ اذ كان اول كتب

لامرتين النثرية ، واكثرها قيمة ، دون شك ، لبراعة الفن في اوصافه ، ولطرافة المسائل الاجتماعية التي تعرض لها وحاول حلها . ثم لانـــه كتاب عن الشرق ، والشرق ، اذ ذاك ، مـــالئ البصائر والشواعر . ولكن كثيرًا من القراء لم يستطيعوا ، مع مـــا رأوا في الكتاب من الجمال في الانشاء ، ان يخفوا تعجبهم من بعض آراء المؤلف .

والحق انك لا تستطيع ان تقرأ هذه المذكرات الملأى بالصور البيانيـــة ، دون ان تشعر بالتضادات الكثيرة التي يصعب شرحها لاول وهلة .

ولعل من المفيد ان نأخذ مثلًا حسيًا على ذلك :

تراه حينًا ينكر ان الاتراك اضطهدوا المسيحيين او عارضوهم في تشييـــد كنائسهم واقامة صلواتهم . ثم لا يلبث ، بعد صفحـــات ، أن يفيض في وصف ما يعانيـــه السوريون من جور الاتراك وتخريبهم للكنائس ، او جعلهـــا جوامع .

ولقد رأيته ، في صفحة واحدة ، يذمّ رهبان دير نزل فيه واستقبل احسن استقبال ، فيشكو من تباغضهم وتكاسلهم ونوع معيشتهم ؛ ثم ، على مسافـــة بعض اسطر ، تتغير افكاره ، فيجزل مدحهم ، شاكرًا محبتهم وتفانيهم وتقواهم ، وتركهم اوطـــانهم في اوربة ليعيشوا بالكد والتعب في بلاد مقفرة كصحراء فلسطين .

والسرّ في ذلك ، على ما يراه الخبراء ، راجع الى سببين :

الاول ان المؤلف اراد ان يضخم حجم كتابه ، فحشاه بكل فكر مر بخاطره دون ان يمحصه ويردّه الى حقيقتـــه ، محكمًا فيه ، عرض العقل ، مخيلتـــه القوية .

والثاني اضطراب افكاره وعدم ثبوته على رأي واحد :

جاء لامرتين الى الشرق تحت تأثير عاطفة دينيـــة محضة : فـــاننا نراه ، اذ تظهر الناصرة امام عينيه ، « يقفز بغتة عن ظهر حصانه ، وبدافع غريزي ، يكاد يكون غير اختياري ، يركع على التراب لا ينبس الا بهذه الالفاظ « الكلمة صار جسدًا وحلّ فينا » ؛ ثم يعفر بجبينه الارض التي انبتت المسيح ، بالًا اياهـــا

بدموع التوبة ، والمحبة ، والرجاء .» [١]

بهذه العواطف غمس قلمه ، اذ ابتدأ بتدوين مفكراته اليومية ، « احياناً عند الظهيرة ، ساعة القيلولة ، في ظل النخيل ، او تحت اعمدة الاطلال في الصحراء ، وغالباً عند المساء ، على نور سراج زيتي ، في خيمة تضربها الرياح والامطار ، وكثيراً ما اضاع اوراقه ، واكثر من ذلك ما مزقتها بنات آوى ، او بللتها الامطار وامواج البحر .» [٢]

لكنه لم ينشر هذه المفكرات على علاتها كما ظهر اليوم للنقّاد من مقابلة كتاب « الرحلة » المطبوع بمخطوطات لامرتين الاولى المحفوظة في المكتبة الوطنية في باريس . فكانت النتيجة ، كما اعلنها السيد كونيه ، انه « من الواجب ان نشكّ في صدق لامرتين عند ما يقدم لنا « تأثراته وخواطره مدة رحلته الى الشرق » [٣] . فالحقيقة ان الكتاب يحتوي آراء لامرتين بعد رحلة الى الشرق .» [٤]

فلا عجب ان يكون المؤلف بعد رجوعه الى اوربة واضطراب عقيدته السياسية والفلسفية والدينية من جديد ، حذف كثيراً من مذكراته ، وزاد عليها كثيراً ، مازجاً المفيد باللذيذ ، كما يقول المثل اللاتيني . واذا كان اللذيذ هنا ما نثره في كتابه من الاساطير والفكاهات والقصائد ، فيجب ان نفهم بالمفيد ما وجده من آرائه الاجتماعية خليقاً بالانتشار ، بل ضرورياً لتسيير الكون كما ينبغي .

لهذه الاسباب جاءت مذكرات الرحلة كثيرة الاضطراب غزيرة التضاد ، مما حيّر عقول القراء كما قلنا .

هذا من جهة المعاني . اما في المبنى ، فقد تظاهر لامرتين بترك المذكرات على علاتها . وهكذا فاننا نرى ، الى جانب الفصول الطويلة والابحاث المستفيضة ، صفحات لا تحوي سوى سلسلة جمل قصيرة متقطعة كرؤوس اقلام كتبت على عجلة . واليك مثالاً منها :

---

١) الرحلة ١ : ٢٦٦   ٢) المقدمة : III

٣) عنوان الكتاب في الصفحة الاولى من كل مجلد : « Souvenirs, impressions, Pensées et Paysages, pendant un voyage en Orient, 1832-1833 »

٤) راجع : J. De Cognets : *Vie intérieure de Lamartine.* (1911) p. 222.

« سافرنا في الليل . . . فجر جميل بين احراج الزيتون . . . – نسمات لطيفة – . . . ليلة هادئة بين جزر السيكلاد – ركد الهواء في منتصف النهار – البحر هادئ حتى المساء . . . »

رأينا في حياة لامرتين انـه قضى حصة من عمره في الاسفار ، وتنقل في اجمل بلدان اوربة كايطالية وسويسرة وجبال الالب والبيرنه ، حتى اصبح حب الطبيعة وفهم جمالها ملكة غريزية فيه ، الامر الذي ساعده كثيرًا في تدوين مذكراته ، اذ سهل عليه وصف المشاهد الطبيعية . وانك لترى كثيرًا من اوصاف الرحلة شعرًا رقيقًا لا ينقصه الا الوزن والقافية .

بقي ان نقول كلمة في عاطفة لامرتين نحو الشرق ، ونحو سورية ولبنان بالخصوص . فهو لم يدخر من اساليب البيان شيئاً في مديح بلادنا وسكانها ، حتى لنتساءل عند قراءة الكثير من ذلك : أصادق لامرتين في ما يقول ؟ ايعبّر عن عاطفة قلبية ام يستولي عليه الخيال فيتغنى باكثر مما يشعر ؟ انه يجد ان « ضواحي طرابلس فتانة » ، ويطرب « بمناظر لبنان التي ليس اجمل منها » ، وبضيافة اهل لبنان التي لم يرَ مثلها في حياته » ويمدح النساء السوريات « بجمالهن غير القابل الوصف » . . . وامثال ذلك كثيرة في الكتاب .

فهل لامرتين مخلص في كل ذلك ؟ واذا كان مخلصاً ، فهل الخلاصه صادر عن عاطفة واغراض وقتية ، ام عن عقل يزن ما يقول بمعيار التروي والحكمة ؟

هذه اسئلة لا بد من ان تعترض المطالع .

لكن مهما يكن من الامر ، فان الكتاب ينقسم في مجمله الى قسمين : قسم يحتوي المسائل السياسية والفلسفية ، والقضايا الاجتماعية الخاصة باهل القرن الماضي ، وهذا القسم يكاد يخيم عليه عنكبوت النسيان ، لولا بعض الاختصاصيين وطالبي الوثائق التاريخية . وقسم يضم باقة من الاوصاف الفنية البديعة لكل المعالم التي مرّ فيها لامرتين ، وهذا القسم هو الذي يهمنا ، نحن الشرقيين خاصة ، اذ نجد فيه شيئاً كثيرًا عن الحياة في سورية ولبنان في القرن التاسع عشر ، ونحسّ بروح ذلك الشاعر الكبير الذي احب بلادنا حباً جماً وترك آثار هذا الحب في « مذكرات رحلته » . وسنختار في الجزء القادم امثلة من هذا القسم في وصف لبنان ، والحياة اللبنانية كما عرفها الشاعر . (له صلة)

الامثال والاساطير اللبنانية

المختصّة باشهر السنة الشمسية

بقلم لحد خاطر

تموز

تموز اسم الاله « دوزو » الكلداني المترجم « عرق الحياة » ، أطلق عليه تيمناً . وقد عبد الفينيقيون هذا الاله واسموه بلسانهم « ادوني » اي «سيدي»، وهو عندهم رمز الشمس لانهم كانوا يؤلهون قوى الطبيعة . وقد اقام له الجبيليون في مدينتهم ومشارفها هياكل فخمة ، وكانوا يحتفلون كل سنة باعياد موته وقيامته ، وله عندهم اسطورة معروفة واسماه اليونان « ادونيس » ، واطلقوا اسمه هذا اليوناني على نهر ابراهيم . يقابله في الاشهر الفرنجية «يوليو» ، اخذاً عن الرومان الذين اطلقوا عليه اسم احد امبراطرتهم « يوليوس قيصر » المولود فيه ، تكريماً له ، بعد انتصاره على اعداء الامبراطورية . وكان الاقدمون يرمزون اليه بصورة « الاسد » ، والانكليز يسمونه « شهر المروج » لازهارها فيه ، والفرنسيون « شهر القش » لانه عندهم شهر الحصاد ، والمصريون « شهر الماء والهواء » لان الرياح تهبّ فيه عندهم ويفيض ماء النيل

***

وتموز في لبنان « شهر الحصاد » لان الحنطة تدرك فيه البلوغ فيباشرون حصادها ، ولحصّاديهم فيه اقوال فهو عندهم : « شهر البركة » . وشمسه على شدّة حرّها « تجوهر الجسم » اي تطهّره من السموم بما تخرجه منها مع العرق ، وهواؤه يساعد على تذرية الحنطة المدوسة على البيادر ، ويمكّن من فصل الحب عن القش او التبن بسهولة ، ومن ترطيب الجسوم وانعاشها ، ويتناشدون وقت مباشرة الحصاد اغاني تقليدية متوارثة تستلذّ الآذان سماعها ، لما فيها من معانٍ لطيفة تحضّ على العمل والسعي في تحصيل الرزق بعرق الجبين . وقد التحفني بعض الفلاحين بشيء من تلك الاغاني فاثبت هنا اغنيتين منها مثالاً

لنفسية الفلاح اللبناني القديم وصورة لما كان يجول في قرارة نفسه من العواطف والافكار والمطامح عند مباشرة عمله

الاولى : اغنية عريقة في القدم يقال انها تردّد في لبنان من مئات السنين:

شوّش الجمّال قلبي ، عندما نادى الرحيل
قلت لُهْ: جمّال ، خذني . قال: انا دربي طويل .
قلت لُهْ: جمّال ، بركب . قال : انا حملي ثقيل .
قلت لُهْ: أيش الحمولة ؟ قال : قرفة وزنجبيل .
قلت لُهْ: حصيد زرعي ، قبل حملك ، يا خليل
شو بتنفعني الحمولة ان كان محصولي قليل ؟!

الثانية: اغنية طويلة اكتفيت منها بالابيات التالية :

يا شباب المولشه (١ ها الشهر شهر الميشه .
ال ما يحصد من قلبه بتكون حياته وجيشه .

دور

ال ما يحصد من قلبه ويله من غضب ربه !
الله بتروح من دربه ، ومايسمع صوت الجاروشه .

دور

وما يسمع صوت الطاحون ، ويصير محتاج ومديون ،
واذا عدّا عليه كانون يبلى باكبر بلبوشه . (٢

دور

يبلى باكبر شغلة بال ؛ الحصيدة لازمها رجال .
عالحصيدة ، يا ابطال ، بالمنجل والقاشوشة ! (٣

وفي تموز تبدأ اسعار الحنطة بالارتفاع لان الغلّة القديمة تكون على وشك النفاد ، والغلة الجديدة تكون لا تزال قيد التجهيز والاعداد للاستهلاك ، ويقول اللبنانيون في ذلك : « الغلاء الشديد، تحت الغُمر الجديد » وقد مرّ بك ما يريدون في اصطلاحهم من لفظة غمر، على ان سهولة المواصلات في هذا العصر لم تبقِ لمثل هذا الغلاء محلّاً ، لما تأتينا به البواخر في مختلف الاوقات

١) الحصاد ، من ملش بمعنى حصد والمالوش حشرة تقضم النبات فكأنها تحصده
٢) البلبلة والبلاء وتعب البال
٣) اداتان للحصاد في لبنان

والفصول ، من محاصيل البلدان الاجنبيّة. واذا تعذر على من نفدت غلاله منهم شراء حاجة منها، استعارها ممن توجد لديه من جيرانه واصحابه ، حتى اذا درس غلاله الجديدة وذرّاها ، كان اول ما يفعله ، وهو على البيدر ، قبل التعبئة ، ردّ العارية الى صاحبها ، ومن امثالهم في ذلك : « قبل ما تعبي ردّ ، لان من أخذ ورد ، فاضي لا يرتد »

وفي تموز يهيئ الزرّاع الاوعيــة لادّخار الغلّة يصنعونها من الدلغان بشكل اسطواني ، ويجعل لهــا ثقب من اسفل يُسدّ بكمامة ويفتح عند الحاجــة ، ويسمونها « الكواير » . وقد تكون مربّعة مزدوجة الداخل يوعى في جانب منها السميذ الناعم وفي الجانب الاخر السميذ الخشن ، الاول للكبة ، والثاني للطبخ فتسمى « المخادع » ويقولون في امثالهم : « في تموز الحصيدة ، هيي كوايرك للغلة الجديدة » و « يا ذلّ من عمل بطون الناس كوايره ! »

وفي تموز تنضج بواكير التين والعنب ، وتسمى بواكير التين في اصطلاحهم « الديفور او الديثور » . ويقولون ان الاكثار منه ضارّ بالصحة لما يسببه من الارتباكات في الجهاز الهضمي ، ومن اقوالهم فيــه : « من كثر الديفور ، بات مضرور » وتسمى بواكير العنب : « التلاويح » ويقولون انها نافعة مقوية للدم ، ويحضون على الاكثار منها ، ومن اقوالهم فيها : « متى لوّح العنب من جديد ، كل منه قدر ما بتريد » ومنها : « اول العنب ، وآخر التين »

واول ما تظهر « تلاويح » العنب في عيد مار الياس ٢٠ تموز ، ويقولون في ذلك : « في عيد مار الياس ، حطّ العنب للجلاس » . وفي ١٧ منه تبتدئ ايام « الشعرى » ومدتها شهر وهي معمعان الحرّ ، لذلك قالوا : « في تموز ، تغلي الميــاه في الكوز » وقالوا ايضاً : « الجحاش البيض لا تدفأ الا في عشرين تموز » لان هذه الجحاش موصوفة بشدة تأثرها بالبرد فيقولون عنها انها لا تدفأ الّا اذا بلغ الحرّ اشدّه في التاريخ المذكور

وفي تموز يندر المطر لذلك يقولون : « اندر من المطر في تموز » . وفي اغنية عامية عن لسان امرأة لبنانية تشكو سوء حظها البيت التالي :

يا سوء حظي ! لو غسّلت في تموز رعدت وبرقت وشتّت كل نقطه كوز !

نجمتان صغيرتان عطوفتان

حكاية

معرّبة بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل

ظهرت يوماً نجمتان صغيرتان كأنهما اعجوبة ، فأنارتا الجوَّ الفسيح بلمعانهما الباهر . فرآهما الله كذلك ، فاختصَّهما بجبّه ، وسألهما رغبة يتمُّها لهما . فما اشتهيتا شيئاً ، بل اكتفيتا بظهورهما قبل كلّ النجوم ، كلّ ليلةٍ ، تنيران مكاناً معيَّناً كقنديلين كهربائيين معلَّقين على باب الفردوس الذي يقفلهُ القديس بطرس كلّ مساء .

ليس لالوف النجوم محل وقوفٍ، ولا وظيفةٌ خاصَّة. أمَّا النجمتان الصغيرتان فطريق السماء العام مسيرهما ، ولهما وقوفٌ خاص فوق بيتٍ صغير ، في وسط حقل تحيط به غابةٌ واسعة الاطراف ، وترتفع حولهُ اشجارُ الصنوبر الكثيفة ، تمرُّ الريحُ في أغصانها فيبدو للسامع من حركتها كأنَّ أسراب طيرٍ تشقُّ الفضاء ، او امواج بحرٍ تتكسر على رمال الشواطئ.

رَقدتْ العيلةُ ، إلَّا ابنة صغيرة جميلة جَلَست على مقعدٍ جنب البيت تُصغي الى النسيم يداعب ذوائبها الشقراء ويحمل اليها حكايات القرى القريبة . وخرير ماء الساقية الجاري على كثبٍ منها يُنشئ في نفسها شتَّى التأثرات . فتاةٌ صغيرة صَموتة ، شاحبة الوجه ، يحبُّها جميع الناس كلّ وقت ، وتُحيّيها العصافيرُ كلّ صباح ، ويلاطفها النسيم بنسماته العاطرة ، وتهدي اليها الزهور أَطيب أطيابها ، وتروي لهـا الساقية اخبار الجبل العالي يكلّلُ رأسهُ بياضُ الثلج ، وروايات الماشية تشرب من غدرانهـا ، واحاديث الرعاة يتغنون عن جانبيهـا . وهي

جالسةٌ الساعات الطوال تأنس بذلك كلّه ويطفح وجهها بشراً .

عمياء تلذّها المناظر الفاتنة وهي لا تراها ! —

روزي فرحةٌ بالرغم من مصابها الأليم . لانّ ابويها تحوّطاها بكل عناية وشفقة وحنان ، حتى كأنّ البيت كلّه سرورٌ حولها ، وحدائق الغابة الغنّاء مسرحٌ لافكارها بحسب مشتهاها ، تحمل الى الظباء والنزلان قوتاً كل مساء .

كان لروزي أخٌ أصغر منها سناً يدرس علم الفلك في إحدى المُدُن ، باذلاً ما في وسعه لينال قصبَ السبق في فنّه ، وطالما طالع السماء جالساً ليالي الشتاء الطويلة بقرب النافذة ، مراقباً النجوم بعد ان يشبعهُ استاذهُ شروحاً عنها .

وكان كلّ سنةٍ يحضرُ الى البيت ليحتفل بعيد الميلاد مع عيلته فيقص عليها كلّ ما يتعلّق بدرسه وبجمال تلك المدينة العظيمة ، غير انهُ كان يتكلّم على الأخصّ ، وقد أخذ منهُ الانذهال ، عن الكواكب المحبوبة وجمال الفلك العجيب .

وكانت روزي الصغيرة مصغيةً كلّ الاصغاء كأنها ناظرةٌ اليه بعينيها العمياوين النجلاوين الواسعتين . ومن قوله لها : ان النجوم تبان في المرقب كأنّها عوالم . وقد رأوا في القمر جبالاً ووهاداً ، إلّا انهم رأوا أنّ الحياة فيه غير مستطاعة لشدّة برودة الطقس .

عندئذٍ أحسّت تلك الابنةُ الصغيرة بشوق عظيم الى مرأى ما قد سمعت عنه الحديث . فكانت تخرج من البيت خفية ، والطبيعة ساكنة ، وترفع عينين ملئهما الدموع الى حيث كانت تتصوّر أنّ الجوّ والنجم فيه يلمع ، وتهتف من أعماق قلبها :

«كم يكون شكري لك ، يا ابي السماوي ، مضاعفاً اذا قوّيتني على ان أرى ، ولو مرّة واحدة ، النجوم المحبوبة ، والقبّة السماوية ، والعالم الفخم الجميل ! »

سمعتْ النجمتان الصغيرتان هذا الهتاف ، فحملها عطفُهما على الذهاب الى الله وكلّمتاه بشأن الابنة الصغيرة وسألتاه رغبتهما في إبصارها . فسمع صلاة

روزي ، وشاء بجودته غير المحدودة ان يستجيب طلبتها فقال : « اني اقضي لكما رغبتكما على شريطـة ان تهبطـا الارضَ معي ، ولكن يجب ان تعلما انكما اذا بلغتماها لا تصعدان منها في الحال ولا تضيئان من بعدُ في السماء مـا لم أدعُ اليَّ تلك الفتاة الصغيرة. »

فارتضت النجمتان بشرط الله عليهما.

***

وبينا المساء بارد ، والثلج متساقط ، وتلك العيلة جالسة لطعـام العشاء ، وروزي مصغية الى صفير الريح ، واغصان الاشجار تتقصَّف من ثقل الثلوج ، وبيت الفلاح ملتحف بثوبـه الابيض ، اذ بالباب يُقرع . فاسرع الرجـل ففتح ، واذا بشيخ تدلَّى الثلجُ بلحيته جليداً يرتدي أخلاق ثيـاب لا تقوى على ستر اعضائـه ، وهو يرقصُ من البرد . فطلب ان يؤاووه تلك الليلة ، مدَّعياً أنَّهُ ضلَّ الطريق . وسألهم بعض مأكل يسدُّ به جوعهُ . فامتلأ قلب الفلاح وامرأتهُ شفقة عليه ، وهمـا من ذوي الفضل والتقى . وقامت المرأة فاعدَّت لهُ مأكلا وافياً وسريراً دافئاً . وروزي كانت كلُّها اصغاء الى احاديث الشيخ صاحب الصوت العذب الرقيق ، فبان لها انـهُ ذو سفر طويل ، فرقَّ قلبُها لهُ وشفقت عليه . وقد ادرك هو ذلك منها فعطف عليها وضمَّها بحبٍ بليغ الى صدره ، ولم تعلم الدافع الى ذلك . ثمَّ لبث طويلا يتأمَّل في عينيها المنطفتين وكأنَّ ابتسامة الهيَّة تُنير وجههُ.

تعشَّى الشيخ ودفئَ ، وذهب كلٌّ الى مرقده ، ومكثت الفتـاة تُفكّر بشأن الرجل غير العاديّ ، وقد شعرت في قربـه بعواطف تقوى وعبادة لم تكن منها الّا في المعبد . ولَّما اصبحوا ، وهمَّ الضيفُ بالانصراف ، طلب اليه اهل البيت ان يبقى عندهم ريثما تخفُّ وطأةُ الثلج ، فرضي . وعَلِق به قلب الجميع ، ولاسيما روزي

أقام عندهم أياماً محفوفاً باسباب الراحة . ثمَّ قام ليسافر وقال :

« لقـد خدمتـموني خدمة كبيرة وحمَّلتموني جميلا عظيماً . وآذن وقتُ سفري . واني لمستعدٌّ قبل وداعي لكم ان اكافئ صنيعكم »

قال هذا وجذب اليه روزي فأجلسها على ركبتيه ، ومسَّ بلطفه عينيها ، فوضع فيها النجمتين الصغيرتين . فصرخت الفتاة :

« ابي ! أمي ! لقد ابصرتُ ! ابصرتُ السماء ! وها انا انظر كلَّ شيء ! »

قالت هذا وارتمت بين أذرع والديها ! فدهشوا جميعاً ، والأمر مدهش . ثمَّ أفاقوا وهبُّوا ليشكروا للمحسن اليهم . فاذا به قد توارى عنهم فسعوا في طلبه وعبثاً ما سعوا . فادركوا أنَّ الشيخ المسكين انما هو الله او رسولٌ من عنده . فقاموا كلُّهم ، وكلُّهم قلوبٌ بارَّة ، فارسلوا صلاة حارَّة شكراً للسماء على النعمة .

وتضاعف نورُ النجمتين الصغيرتين في وجه الفتاة الصغيرة ولم تزالا تضيئان الى الآن بسرورٍ ولطفٍ في وجه روزي وهما تحدّقان الى السماء التي ستدعوهما عمَّا قريب .

* * *

فاذا نظرتم عند المساء ، ايها القرَّاء الاعزَّاء ، الى القبة السماويَّة المرصَّعة بالنجوم ، رأيتم أن جهة الشرق مُظلمةٌ لأنَّهُ ينقصها نيّران هما النجمتان الصغيرتان ، او عينا روزي المنيرتان



جولة في المجلات

عقلية العرب – النهضة النسائية في مصر

عقلية العرب

من محاسن مجلة «الرسالة» المصرية الجديدة أخيراً، في تلميحها الى الظواهر الادبية لدى الشعوب الاجنبية، تدفع بعض ادبائنا الى التعمّق بدرس العقلية العربية وما اتجته في العلم والفن والادب، والى المقابلة بين هذه العقلية وغيرها من عقليات الشعوب المعروفة كاليونان والمصريين والفرس وغيرهم. وقد لفت نظرنا، في احد الاجزاء الاخيرة، رسالة للاستاذ توفيق الحكيم، صاحب رواية «اهل الكهف» التي سنصفها في عدد قادم من «المشرق»، حاول فيها ان يحدّد مركز الاغريق والهنود، والمصريين، والعرب من الحضارات العامّة، وميزة كلّ حضارة مستمدّة من عقلية الشعب الذي قام بها. فرافقه التوفيق في بعض نظراته، وكان بحاجة الى شيء من التحفّظ والاحتياط في البعض الآخر ولاسيما في ما خصّ الاغريق. على ان ما يستحقّ ذكراً خاصاً في بحثه القيّم هو ذاك القسم الدقيق الذي صوّر فيه العقلية العربية وما تمتاز به من التسرّع في اللذة والاكتفاء بالجزئيات الى غير ذلك من المميّزات الدقيقة التي كان يشعر بها جميع المتصلين بادب العرب وفنهم وعلمهم، فلا يجدون لها هذا التعبير الشامل وهذا التعليل المعقول، حتى اتى الاستاذ توفيق الحكيم فقال (الرسالة: العدد ١٠ في ١ حزيران ١٩٣٣: ص٦-٧):

العرب أمة نشأت في فقر لم تعرفه امة غيرها، صحراء قفراء، قليل من الماء يثير الحرب والدماء، جهاد وكفاح لا ينقطعان في سبيل العيش والحياة، أمة لاقت الحرمان وجهاً لوجه، وما عرفت طيب الثمار وجري الانهار ورغد العيش ومعنى اللذة الّا في السير والاخبار، كان حتماً عليها ألا تحس المثل الاعلى في غير الحياة الهنيئة، والجنات الخضراء، والماء الجاري، والوان النعيم واللذائذ التي لا تنضب ولا تنتهي، امة بأسرها حلمت بلذة الحياة ولذة الشبع، فأعطاها ربها اللذة ومنحها الشبع، كل تفكير العرب وكل فن العرب في لذة الحس والمادة، لذة سريعة منهومة مختطفة اختطافاً، لان كل شيء عند العرب سرعة

ونهب واختطاف . عند الاغريق الحركة ، اى الحياة ، وعند العرب السرعة ، اي اللذة . لم تفتح امة العالم بأسرع من العرب ، ومن العرب بحضارات مختلفة فاختطفوا من اطايبها اختطافاً ركضاً على ظهور الجياد ، كل شيء قد يحسونه الا عاطفة الاستقرار . وكيف يعرفون الاستقرار وليس لهم ارض ولا ماض ولا عمران ! دولة انشأتها الظروف ولم تنشئها الارض ، وحيث لا ارض فلا استقرار ، وحيث لا استقرار فلا تأمل ، وحيث لا تأمل فلا ميتولوجيا ولا خيال واسع ولا تفكير عميق ولا احساس بالبناء . لهذا السبب لم تعرف العرب البناء ، سواء في العمارة او في الادب او في النقد ؛ الاسلوب العربي في العمارة من اوهى اساليب العمارة التي عرفها تاريخ الفن ، واذا عاش لليوم فانما يعيش بالزخرف ، فن الزخرف العربي انقذ العمارة العربية ، ان العمارة العربية — الا في مصر — ما هي في رأيي سوى زخرف لا بناء ، فلا أعمدة هائلة ولا جبهة عريضة ولا وقفة قوية ولا بساطة عظيمة ولا روعة عميقة ، انما هي وشي كثير وجمال كجمال الحلي المرصع يهز البصر ولا فكر خلفه . أما فن الزخرف العربي فهو في الحق اجمل واعجب فن للزخرف خلده التاريخ . والزخرف عند العرب وليد ذلك الحلم باللذة والترف ، كل شيء عند العرب زخرف . الادب نثر وشعر لا يقوم على البناء ، فلا ملاحم ولا قصص ولا تمثيل ، انما هو وشي مرصع جميل يلذ الحس ، فسيفساء اللفظ والمعنى ، و « آرابسك » العبارات والجمل . كل مقامة للحريري كانها باب لجامع المؤيد ، تقطيع هندسي بديع ، وتطعيم بالذهب والفضة لا يكاد الانسان يقف عليه حتى يترنح مأخوذاً بالبهرج الخلاب . كذلك الغناء العربي « آرابسك » صوتي ، فلا مجموعة اصوات متسقة البناء كما في « الديتيرامب » او « الاوركسترا » الاغريقية او كما في « الكورس » الجنائزي المصري ، ولا حتى مجرد صوت ينطلق حراً بسيطاً مستقيماً . انما هو صوت محمل بالوان المحسنات من تعاريج وانحناءات والتواءات وتقاسيم كانها « ستالاكتيتات » غرناطية ، لا يكاد يسمعه (القاضي الفاضل) حتى يستخفه الطرب ويضع نعله فوق رأسه ؛ كان هذا في العهد الاول للموسيقى اذ كانت عند جميع الشعوب بسيطة عارية تخرج من القلب تعبيراً عما في القلب ، او رمزاً

لفكرة من الافكار ، والموسيقى كالعمارة من الفنون الرمزية . لا الفنون الشكلية ، ولكن العرب لا يحبون الرموز ، ولا طاقة لهم بالفن الرمزي ، ولا يريدون الا التعبير المباشر بغير رموز ، والا الصلة المباشرة بالحس ، فجعلوا من الموسيقى لذة للاذن لا اكثر ولا اقل ، كما جعلوا العمارة لذة للعين لا اكثر ولا اقل ، ولقد حاول الفارابي فيما اذكر التقريب بين الموسيقى العربية والموسيقى الاغريقية ، وكان لا بد له من الاخفاق لاسباب قد اذكرها بعد ، كذلك التصوير العربي على جماله ودقته ليس الا مجرد تزيين وزخرف للكتب والمخطوطات ولم يؤد لغير تلك الغاية « المنياتور » الفارسي . قد يكون للدين دخل في تأخر النحت والتصوير عند العرب ، غير اني اعتقد براءة الدين ، ان العرب كانوا دائماً ضد الدين كلما وقف الدين دون رغبات طبائعهم ، لقد حرم الدين الشراب ، فاحلوا هم الشراب في قصور الخلفاء ، وما وصفت الخمر ولا مجالس الخمر في ادب امة باحسن مما وصفت في الادب العربي ، لا شيء في الارض ولا في السماء يستطيع ان يحول بينهم وبين اللذة . اما النحت او التصوير الكبير فليس في طبيعتهم ، لان تلك فنون تتطلب فيمن يزاولها احساساً عميقاً بالتناسق العام مبناه التأمل الطويل والوعي الداخلي للكل في الجزء وللجزء في الكل ، وليس هذا عند العرب ، فهم لا يرون الا الجزء المنفصل وهم يستمتعون بكل جزء على انفراد ، لا حاجة لهم بالبناء الكامل المتسق في الادب ، لانهم لا يحتاجون الا للذة الجزء واللحظة ، قليل من الكتب العربية في الادب تقوم على موضوع واحد متصل ، انما اكثر الكتب كشاكيل في شتى الموضوعات تأخذ من كل شيء بطرف سريع : من حكمة واخلاق ودين ولهو وشعر ونثر ومأكل ومشرب وفوائد طبية ولذة جسدية ، وحتى اذ يترجمون عن غيرهم يسقطون كل ادب قائم على البناء ، فلم ينقلوا ملحمة واحدة ولا تراجيديا واحدة ولا قصة واحدة ، العقلية العربية لا تشعر بالوحدة الفنية في العمل الفني الكبير ، لانها تتعجل اللذة ، يكفيها بيت شعر واحد او حكمة واحدة او لفظ واحد او نغم واحد او زخرف واحد لتمتلئ طرباً واعجاباً ، لهذا كله قصر العرب وظيفة الفن على ما نرى من الترف الدنيوي واشباع لذات الحس ، حتى الحكمة ، وشعراء الحكمة كانوا يؤدون

عن الوظيفة: اشباع لذة المنطق، والمنطق جمال دنيوي، ولا استغرب غضب نيتشه على ايوبيد لاسرافه في هذا المنطق على حساب الموسيقى، من المستحيل اذن ان نرى في الحضارة العربية كلها أي ميل لشؤون الروح والفكر بالمعنى الذي تفهمه مصر والهند من كلمتي الروح والفكر. ان العرب امة عجيبة، تحقق حلمها في هذه الحياة، فتشبثت به تشبث المحروم، وابت الا ان تروى ظمأها من الحياة وأن تعب من لذاتها عبا قبل أن يزول الحلم وتعود الى شقاء الصحراء، وقد كان.

النهضة النسائية في مصر

لا تزال فكرة قاسم امين تسير بين الشعب المصري، متقدمة بخطى بطيئة ولكنها ثابتة، فتعمل على تحرير المرأة المسلمة شيئاً فشيئاً. وان من يقابل حالة النساء اليوم في القطر المجاور بحالتهن قبل الحرب يتحقق التقدم المحسوس الذي ادّت اليه الجمعيات النسوية، ومنها «الاتحاد النسائي» الذي اسسته السيدة هدى هانم شعراوي. وقد زارها مؤخرًا الاستاذ سامي الكيالي، صاحب مجلة «الحديث» الحلبية، فلخّص من اقوالها ما يلي، دالاً على تقدم النهضة المذكورة (الحديث، حزيران، ص ٤٥٤):

واذ تسأل هدى هانم عن الاعمال التي قام بها «الاتحاد النسائي» في مصر خلال السنوات العشر تجيبك بصراحتها الواضحة وقلبها مطمئن: لقد وفقنا الى الغاء الحجاب الذي كان يحول بيننا وبين الاشتراك في الحياة العامة، والى تحديد السادسة عشرة لزواج الفتيات اللواتي كان يزوجهن اباؤهن فيما مضى وهنّ لم يتجاوزن بعد العاشرة، مع فتح ابواب المدارس الثانوية والعالية امام الفتاة المصرية مع انها حتى عام ١٩١٤ كانت محرومة من الالتحاق بالمدارس الثانوية والعالية وكان حظها من الحياة التعليم الابتدائي فقط. والجامعة المصرية تضمّ اليوم في كلياتها الاربع ما يقرب من ٤٠ تلميذة عدا البعثات النسوية التي سافرت الى انكلترة وفرنسة لاتمام دراساتهنّ العالية في مختلف نواحي التفكير.

وتزيد على ما تقدّم بان «الاتحاد النسائي» قد ظفر بعدة اصلاحات تتعلق باستطاعة المرأة المطالبة بالطلاق وبتحديد سلطة الرجل في توقيع يمين الطلاق، وان تحتفظ الام المطلقة بطفلها ان كان ذكرًا لمدة ٩ سنوات بدلًا من ٧ سنوات وان كانت أنثى لمدة ١١ سنة بدلًا من ٩.

مطبوعات شرقية جديدة

E. G. Browne : La Médecine Arabe. *Edition française mise à jour et annotée par le* Dr H. P. J. Renaud, 1 *vol. in-16 de XII + 176 pp. Prix : 20/s. Larose, Paris.*

الطب العربي

لا يخفى ان تاريخ الطب العربي الذي نشره ، سنة ١٨٧٦ ، الدكتور لوسيان لوكلير في مجلدين كبيرين ، كان الكتاب الفرنسوي الوحيد الشامل موضوعاً من اهم مواضيع الثقافة الاسلامية والمدنية العربية. على ان ذاك الكتاب اصبح في عصرنا ، فضلاً عن ندوره ، مقصراً بالنسبة الى الابحاث المتّصلة في الموضوع وما وصل اليه الاطباء والمستشرقون من نتائج مهمّة. فكان من نصيب احد مستشرقي كمبريدج الآخذين بالطب ان يسدّ هذه الثلمة باصداره الكتاب الحاضر. وكان من نصيب احد اطباء مراكش الآخذين بالاستشراق ان يستخرج الى الفرنسوية هذا البحث المفيد معلّقاً عليه بعض الشروح والملاحظات دعت اليها الدروس الحديثة ، مظهراً صفحة جميلة خطّها اطباء العرب في تاريخ الفكرة العلمية العامّة.

Los grands jours de la Rédemption, *grand in-8° de* 128 *pp.* 16 *grandes gravures de maîtres anciens et de modernes, couverture en couleurs de Grand Aigle. Prix : 10 fs. Bonne Presse, Paris.*

ايام الفداء العظيمة

يشتمل هذا الكتاب على ذكر ايام الفداء العشرة التي اشار اليها قداسة البابا بيوس الحادي عشر في منشوره الرامي الى ذكر الفداء . وقد تبعها المؤلفون واحداً واحداً ، من تأسيس سرّ الافخارستيا حتى موعظة الرسل الاولى ، فاجتهدوا في تبيان الحوادث الانجيلية ، والعقيدة التي تستخرج منها ، والاسرار التي تشتمل عليها. وقد بدأوا في عملهم هذا ، بذكر نصوص الانجيل بكاملها ، يزيدون عليها احياناً نصوص الانبياء ، او القديس بولس ، او غيره من الكتبة الكنسيين . ثم يضيفون الى ذلك الشهادات ذات القيمة التي اقرّها البابوات

والمجامع في ما خصّ معنى هذه النصوص التاريخية ، وشروحها التي وصلت الينا بواسطة التقليد. يلي ذلك اقوال آباء الكنيسة ومعلّميها ، ولاهوتيها ، ووعّاظها، سُردت حسب الترتيب التاريخي ، وكلّها تدور حول عقائد الكنيسة ، والروح المسيحي الذي يؤيد فكرتها دائماً.

Joseph Folliet : Le Droit de Colonisation. 1 *vol. de* 350 *pp. Prix* : 30 *fs. Bloud et Gay, Paris*, 1933

حقّ الاستعمار

هي أطروحة القاها المؤلف في معهد الفلسفة العليا من جامعة باريس الكاثوليكية، وقد نالت نجاحاً باهراً. على انها لم تُطبع اولاً الا بعدد قليل لم يستفد منه كثير من القرّاء. فأعيد طبعها مؤخراً. والموضوع ، كما لا يخفى ، جزيل الفائدة لا للاختصاصيين فحسب ، بل لجميع رجال الاستعمار ، والمرسلين ، وموظفي الحكومة ، والكتّاب الاجتماعيين من الذين تقلقهم المشاكل العمرانية والعملية. فيجد فيه الجميع معلومات دقيقة وملاحظات قيّمة. وعليه فاننا ننصح بقراءته كل من تهمّهم هذه المشاكل.

Victor Boret : Le paradis infernal. La vérité sur la Russie. *in*-12 *de* 420 *pp. Paris, Quillet, éditeur. Prix* : 15 *fs.*

الفردوس الجهنّمي. الحقيقة عن روسية

ان التضادّ البارز في العنوان يمثّل حقّ التمثيل النتيجة التي يصل اليها المؤلف. كان وزير الزراعة سابقاً فأجهد ذهنه بمشكلة الفلّاحين ، ومصير ١٢٧ مليوناً من المتعلقين بالاراضي الخاضعين لـ ٣٨ مليوناً من سكّان المدن . يستبد بهم جميعاً نحو ثلاثة ملايين من البلاشفة. راقب المؤلف كل هذه المظاهر فدرسها واستخرج منها نتائج عديدة واحكاماً عامّة كانت في اكثرها مستندة الى مراقبة سكّان المدن خاصة. فاذا امكن القول عن « فردوس » ارباب الحكم انه وهمي ، فماذا عسى ان تقول عن حالة غيرهم من السكّان ؟ وليس من وجودٍ تطبيقي في هذا « الفردوس » لمدلولات الحرّية ، والسعادة ، والعدل. وافضل ما يمكن الحكم به ان روسية الخارجة من الثورة لا تزال حتى اليوم قوّة غير منظّمة. فهي مأخوذة بمغامرة هائلة لم تُعرف نتيجتها حتى الآن. وعليه

فيكون الكتاب على قسط من الجدّة ، جديرًا بالمطالعة . ج. ل.

Aymé Guerrin : La Mort du Christ. *vol. in-12 de* 192 *pp. Paris, Librairie Plon.*

موت المسيح

في هذه السنة التي يحتفل فيها العالم اجمع بمرور تسعة عشر قرناً على موت المسيح ، رأت مكتبة بلون ان تضع بين ايدي القرّاء نصّ المأساة الالهية . فاستخرج المؤلف من كتابه المعروف عن « يسوع كما يحياه الناس » هذا النصّ المستند الى الوثائق الدقيقة والابحاث الجارية في محل الحوادث فعسى ان يدفع المطالعين الى التأمل باسرار اسبوع الآلام ، والى قراءة الانجيل بحبّ وتفهّم.

ك. ب. هيوز

Marguerite Perroy : S[t] François Régis. *Editions Publiroc, Marseille.*

القديس فرنسيس ريجيس

من سير القديسين ما يقرأه الناس بطيبة خاطر فينتشر انتشارًا عجيباً ويأتي بالثمار الصالحة دون ضجة ولا اعلان. وقد لا نزانا بعيدين عن الصواب اذا قلنا ان هذه السيرة للقديس فرنسيس ريجيس من النوع المذكور. فهي سهلة حافلة بالحياة والتنوّع ، على قسط وافر من الدقة والنقد التاريخي ج. ل.

Paul Lesourd : Le Missionnaire catholique des temps modernes. (*Problèmes, exigences et nécessité de son apostolat*) [*Biblioth. d'études catholiques et sociales.*] 2 *vol. in-*18. *Prix :* 24 *fs, Ernest Flammarion, Paris,* 1933

المرسل الكاثوليكي في الازمنة المعاصرة

كتاب قيّم جمع فيه المؤلف طائفة من المعلومات جديدة ، دقيقة ، غزيرة الفائدة لمن تهمّه الصعوبات المتراكمة امام المرسلين وحدهم في البلاد الغربية ، حيارى امام عقلية الهمجيين ، مجاهدين في تسهيل العقبات الطبيعية والبشرية ، عاملين على حلّ الصعوبات المدرسية والاجتماعية والشعبية ، دائبين في مقاومة الاخطاء ، والانشقاقات ، والتعصب ، والبغض ؛ ولاسيا في عصر تشبّكت فيه الازمات الاقتصادية والاخلاقية ، فزادت في عذاب من يحيا حياة الفقر والغربة. هذا ما ترمي اليه اقسام الكتاب الاربعة التي لا يمكن ان نلخّص فصولها العديدة

الوافرة المعلومات حتى ان الكتاب يؤلف دائرة معارف شاملة لكل ما يثيره موضوع الارساليات الدينية من صعوبات ومشاكل ·

M. Rameau et H. Yvon : Dictionnaire des Autonymes ou contraires avec indication des synonymes. *in-12 de* 293 *pp. Paris, Librairie Delagrave.*

قاموس الاضداد

لم تتوافر بعد للادباء المثقفين جميع القواميس التي يحتاجون اليها · على ان المؤلفين قاما بعمل مشكور اذ وضعا قاموساً للاضداد باللغة الفرنسوية ، اي للكلمات التي تتعاكس معنىً · فاخذا بتحديد كل كلمة ، بواسطة مترادفاتها على الغالب ، ثم بوضع الكلمة التي تضادها · ولا يخفى ان عملاً كهذا لا يبرأ من اضطراب ومبالغة وتجاوز سواء في انتخاب المترادفات ام في اختراع الاضداد · وهو ما اجتهد المؤلفان في تجنبه · وقد بدئ الكتاب بدليل وردت فيه ، على الطريقة الابجدية ، جميع المترادفات المذكورة في القاموس ·

B. Farès : L'honneur chez les Arabes avant l'Islam. *Etude sociologique.* 1 *vol. in-8° de* 226 *pp. Paris, Librairie d'Amérique et d'Orient, Adrien Maisonneuve.*

الشرف (العرض) عند العرب قبل الاسلام

لقد كان من السهل ، لخمسين سنة خلت ، ان يؤلف كتاب كهذا · وذلك ان الناس كانوا يقرّون اجمالاً بصحة نسبة الشعر الجاهلي بكامله ، وبصحة نسبة الاحاديث المتعددة وما اليها من نوادر وشروح وتعاليق · اما اليوم فقد اصبح العلم ينظر نظر الشاك الى الكثير من هذه المواد · على ان المؤلف لا يجهل ذلك ، بل يعرف خاصة نظريات طه حسين في الموضوع ، ويحاول تفنيدها بطريقة تضطرب بين النجاح والفشل ·

هذا والكتاب حسن الطبع ، مقبول المظهر ، لا بأس في انشائه الفرنساوي على الغالب ، ولا بأس كذلك في اسلوب البحث فيه · وهو الاسلوب الذي استفاده المؤلف من اساتذة علم العمران في فرنسة · اما مواد البحث فتظهر كافية على الغالب · الا ان المؤلف لا يستند في اكثر قياساته الا الى كتاب او اثنين من مؤلفات العرب · فضلاً عن ان كثيراً من الاستنتاجات لا تركز على

أمن متين، حتى يسهل على الناقد ان ينقضها بعشرات الشواهد تفيد عكس ما يرمي اليه الكاتب. وفوق ذلك نراه يستند، في ما خص حادثة جاهلية، الى الدكتور غوستاف لوبون. وهذا لعمري غاية الغايات، اذ لا يخفى على احد ان ذاك الطبيب لم يكن ليحسن كتابة اسمه بالحروف العربية .. هـ. ل.

St Jean Chrysostome: Dialogue sur le sacerdoce. Discours sur le mariage. Lettres à une jeune veuve. *Traduction nouvelle de l'abbé* **F. Martin.** *Classiques Garnier. Librairie Garnier*, 1931 *Prix:* 15 */s.*

من مؤلفات القديس يوحنا فم الذهب: محاورة في الكهنوت — خطب في الزواج — رسائل الى ارملة شابّة

انّنا نلفت نظر رجال الاكليروس الشرقي من كهنة وطلاب الى هذا الكتاب الجامع نخبة صالحة من مؤلفات الخطيب السوري العظيم والكاتب البليغ يوحنا فم الذهب. وقد مثّل المترجم النواحي الثلاث البارزة في مؤلفات القديس، وعلّق على النصوص كل ما يلزم من الحواشي والشروح والتوطئات لتسهيل الفهم، كما انه قدّم على ذلك بحثاً في حياة القديس ومؤلفاته.

ج. ل.

Firmin Roz: Washington. [*Collection « Les Constructeurs »*] 1 *vol. de* 282 *pp. Broché*, 15 */s*

واشنطون

لم يكن لمجموعة « البنّائين » ان تُهمل جورج واشنطون، وهو البنّاء العظيم، ان صحّ — وهو الصحيح — انه عمل اكثر من غيره على بناء تلك الامة الاميركية العظيمة التي اصبحت اليوم من اقوى عناصر العالم تأثيراً في الحياة السياسية والاقتصادية. فافردت المجموعة مكاناً خاصاً لهذا البنّاء، وقام روز سارداً حياته، دارساً اخلاقه، معدّداً آثاره، مبيناً تأثير الاحوال الزمانية والمكانية التي اكتنفت هذا الرجل فساعدت شخصيته مساعدة غريبة، على تمثيل الدور الذي قام به، حتى يمكن القول ان الظروف الخارجية لم تجتمع في خدمة شخصية بارزة اجتماعها في خدمة واشنطون. كل هذا باسلوب رشيق، حيّ، تصويري، على ايجازه الاخّاذ، مما يمكن المطالع من ان يقرأ الكتاب

دفعةً واحدةً متعجباً للفوائد الكثيرة التي يجنيها من هذه القراءة السهلة.وما ذاك الا لفنّ المؤلف المتين ، وتضلّعه من موضوعه الشائق.

Louis Pastor : Histoire des Papes., *tome XIV, traduit de l'allemand par* **Alfred Poizat.** *Paris, Plon. Prix : 40 fs.*

تاريخ البابوات : الجزء الرابع عشر

يشمل هذا الجزء حبرية البابا مرسال الثاني ، والبابا بولس الرابع ؛ وذلك مـدة خمس سنوات تولى منها مرسال الثاني ٢٢ يوماً فقط . على انه اكتفى بهذه الايام القليـلة فترك ذكرًا صالحًا في تاريخ الجهود التي اثارهـا الاصلاح الكاثوليكي . وقد خُلّد اسمه في القداس الذي ألّفه بالسترينا لاحياء ذكراه. اما البـابا بولس الرابع ، واسمه الاصلي جيان بيترو كرافا ، فامتاز بارادته الحديدية التي خدمته الخدمة الجلّى في اصلاحه الكنيسة واعادتها الى مجدهـا السالف.الا انه لم ينجح النجاح نفسه في مقاومته سيادة اسبانية ، فكان كثير الاندفاع والتسرّع في هذا الامر.ولا يمنع ذلك ان يكون ذاك الشيخ ، على قول بعض المؤرخين ، رجل الساعة في زمانه.فكان مع سالفه من كبار ممثّلي ذاك العصر الوافر الاهمية في تاريخ الكنيسة. ج. ل.

P. Renaudin : Assomptio B Mariæ Virginis Matris Dei. *Disquisitio theologica. in-8° de VIII + 184 pp. Prix : 12 lires. Turin, Casa editrice Marietti.*

انتقال العذراء الى السماء

لقد زادت العقائد المريمية ، في القرن التاسع عشر ، زيادة تُذكر بتحديد عقيدة الحبل بلا دنس.وها ان المؤلف يشرح اليوم انتقال العذراء الى السماء ، على طريقة وافية مستندًا الى الكتاب المقدس ، واقوال الطقوس الكنسية ، والوعّاظ ، والآباء ، واللاهوتيين . ويختم ، في ملحق ، بذكر المطالب التي قُدّمت الى المجمع الفاتيكاني لتحديد انتقال العذراء الى السماء بجسدها.

P. Humbert : Pierre Duhem. [*Les Maitres d'une génération*]. *in-12 de 147 pp. Paris, Librairie Bloud et Gay.*

پيير دوهيم

يعرف القرّاء الكرام ، دون شك ، تلك المجموعة القيّمة التي تُنشر بعنوان « قادة جيل ».والتي تُخص كل من اجزائها السابقة بعالم او فيلسوف

اما هذا الجزء فخصّ باحد علماء الفيزياء ، وقد تولّى هذا المنصب في معهد بوردو العلمي من سنة ١٨٩٥ حتى وفاته سنة ١٩١٦. فقام بدروسه بدقة عجيبة ، الا انه ، لو كان في باريس ، لكان لتأثيره ونفوذه مجال اوسع وثمار اوفر ، وذلك لان فرنسة لا تزال متعلقة تعلقاً شديداً بمظاهر المركزية في كل شيء. هذا وقد اهتم المؤلف بترجمة العالم ، غير غافل عن سائر مظاهر حياته . فبيّن صواب نظرياته الفلسفية، وصحة اتجاهه التاريخية ، كما بيّن طرافة اختباراته الفيزية. وختم بتقدير نفوذه العلمي المسيحي. ج. ل.

Le formulaire des hôpitaux d'Ibn abil Bayan, médecin du bimaristan annacery au Caire, au XIII^e siècle. *Ouvrage annoté et publié pour la première fois par* le R. P. Paul Sbath. [*Extrait du Bulletin de l'Institut d'Egypte, T. XV*] *in*-8° de 70 *pp.*, 1933.

الدستور البيمارستاني

لا يمرّ زمن طويل حتى يرفع الاب سباط زاوية من الحجاب المسدول على مكتبته الخطيّة فيتحفنا بشيء من آثارها. وها هو يهدي الينا اليوم نص مجموعة طبيّة في الادوية المركّبة لعالم يهودي كان طبيب سلاطين الايوبيين في مصر. وقد كثرت في هذا النصّ التعابير الوضعية والمفردات الغريبة في اسماء النباتات والعقاقير. وعمل فيها النسّاخ عملهم فحرّفوا وصحّفوا ما شاؤوا. فكان فضل الطابع بانه قوّم اكثرها. الا اننا اسفنا اذ رأيناه يبدل ، في بعض الاحيان ، بالتعبير العامي الاصلي ، تعبيراً فصيحاً كان بغنى عنه. هـ. ل.

Alfarabi's Philosophy and its influence on scholasticism by **Fr. Robert Hamoui**, O.F.M. *Australia by Pellegrini and Co. Sydney, Melbourne, Brisbane.* 86 *pp. in* 12

فلسفة الفارابي وتأثيرها في الفلسفة المدرسية

ان موضوع هذا الكتيّب ، واسم مؤلفه وصفاته يحلّه عندنا محل من يمتّ الينا بصلة قربى. فرحنا لقدوم المؤلّف علينا ، واسفنا لارجائنا الى هذا اليوم الكلام عليه. ان غاية الاب حموي انما هي تعريف عامة القرّاء الانكليز باحد فلاسفة العرب العظام. قال انه قرأ الفارابي في متنه العربي ، واستعان ، في ما كتبه عليه ، بما نشره دي بور عن الفلسفة العربية وغيره. فجاء كتابة مختصراً

لما كُتب على هــذه المادة. وهو شائق لذيذ على الاخص لمن يكون لهم بعض الالمام بالفلسفة المدرسية. فنهنئ المؤلف على تحفته. ف. ت.

علم الاقتصاد

الجزء الاول : المقدّمة

لجامعه عبد القادر العظم

٢٤٦ ص. متوسطة — مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ، ١٩٣١

ان من مميزات الحركة العلمية والمدرسية في الشرق اقتبـاس العلوم وطرق التعليم الغربية. فمن مطالعة برنامج المدارس وبالاخص المدارس العليـا في جميع الفروع يتضح هذا الامر جلياً. لذلك نرى ان كثيرًا من الكتب المعتمد عليها للتدريس في الجامعات الغربية تترجم الى العربية لتتخذ ايضاً اساساً في الجامعات الشرقية. على هذه الصورة عُرّب منذ سنوات قليلة مؤلف الاستـاذ كارو في الحقوق الجزائية للحاجة الماسة اليه في معهـد حقوق دمشق. ولكن الامر لم يقتصر على الترجمـة وحسب بل تعدى الى التأليف ، فالمؤلفون الشرقيون انفسهم قد اقلعوا عن الطرق القديمة البائدة واتبعوا النسق والطرق الغربية الحديثة. من هؤلاء المؤلفين الاستاذ عبد القادر العظم ، رئيس معهد الحقوق العربي بدمشق. فقد وضع مؤخرًا الجزء الاول الواقع في مجلـد واحـد من كتاب في علم الاقتصاد. والاستاذ المؤلف هو الاختصاصي بهذا الفرع اذ هو مدرسه في المعهد الدمشقي. هذا الجزء الاول من المؤلف مكرّس لايضاح المبادئ العامة والقواعد الكلية مثل تعريف موضوع علم الاقتصاد والحاجات والحادثات الاقتصادية الى ما هنالك من المواضيع الاساسية التي لا بد من تفهمها جيدًا قبل الدخول في بحث المسائل الفرعية من علم الاقتصاد وهي التي سنراهـا ، ان شاء الله ، في الجزء الثاني من الكتاب. وقد ورد في القسم الثالث والاخير من الجزء الاول وصف كامل للمذاهب الاقتصادية المختلفة : المذهب الحرّ ، والمذهب الاجتماعي ، والمذاهب الاشتراكية الخ.

ونحن نتمنى لهذا المؤلف الجديد في علم الاقتصاد كل الرواج الذي يستحقه ، ان لدى الطلاب وان لدى اصحاب المصالح وارباب الحقوق. ا. ت.

اعمال المرأة في الحرب الكبرى

للخوري بطرس روفائيل

المطبعة الكاثوليكية بيروت ، ١٩٣٣ ، ١٧٠ ص . متوسطة صغيرة

ان صديقنا حضرة الاب بطرس روفائيل قد اتى على وصف المرأة الغربية فابرزها بطلةً مثالاً اعلى للبسالة في ميدان الحرب ، وفي مساعدة المقاتلين ، وفي العناية بالجرحى ، وفي سائر المساعي التي لا تحيا دونها الامة ولا ترتقي سلم النجاح . فاستحق الثناء . وعسى ان يلتفت رؤساء المعاهد التعليمية للاناث فيدخلوا كتاب الاب روفائيل في معاهدهم . على ان حضرته اقتصر على ذكر المرأة في الحرب الكبرى في اوربة . ونحن نتمنى لكتابه ان تنفد طبعته، فيضاف اليه في طبعة ثانية اخبار عن المرأة السورية فضلاً عن العربية . فان بلادنا ايام الحرب العظمى شهدت الماً مبرحاً وشقاء هائلاً بين مجاعات ومذابح ومناقي . ولكن لم تقع كارثة من تلك الكوارث المسوّدة سحنة البشرية الا وكان لها صحيفة بيضاء انجلت فيها مظاهر الشفقة والانسانية والبطولة النسائية . ونذكر في سياق الكلام عناية الراهبات ايام الحرب في بلادنا بالمرضى والايتام ، وتضافر المساعي النسائية لتخفيف وطأة المشقات على المنفيين ايام الحرب العظمى لا من السوريين فحسب ولكن من الارمن في جميع الانحاء السورية وعلى الاخص في الشمال . كل ذلك جدير بالذكر تقديراً للفضيلة حق قدرها . ف . ت .

العظة

رواية تأليف جورجي شرقي

مطبعة الشعب بطنطا ١٩٣٢

سليمان انتحر بعد ان قتل صادقاً الغادر بابنته سعاد . وسعاد ماتت في مستشفى الامراض العفنة ، وكان ابوها قد غدر بامها وغدر بامرأته فاطمة ، وفاطمة ماتت كمداً . ان وقائع هذه المأساة او المجزرة تجري على المسرح بين المقاهي وبيوت العار ومنها يقتطف المؤلف الموعظة لردع الناس عن الفجور . والرواية خالية مما يمس الاداب مباشرةً ، لكنها تترك في القلب حسرات ومرارات خير لنا ان نجهلها، فبئست العظة من المواخير ودار الفساد . ف . ت

حضارة مصر الحديثة

لنخبة من زعماء الرأي والثقافة في مصر

المطبعة العصرية — ١٩٣٣ — ص ٣٠٠ ، ق ٨

هو مجموع اثنتي عشرة محاضرة ألقيت في ظلال الجامعة الاميركية في القاهرة ، في فبراير ومارس وابريل من العام الماضي . كل محاضرة أنتدب لها رجل ممن عهدت فيه الجامعة الكفاءة نوفاء الموضوع حقه ، فيحوي الكتاب خلاصة ما يهم معرفته عن مصر الحديثة وينابيع ثروتها الزراعية والمعدنية والتجارية ، واحوال فلاحها وصانعها ، وحركاتها الدينية والفكرية والادبية والفنية والاجتماعية والدولية ، وحالتها الصحية .

ان قيمة المباحث تتفاوت بتفاوت قيمة اصحابها ، وكل واحد مسؤول عما كتب ليس الا . وعلى الاجمال نرى الكتاب شائقاً لذيذاً ، وهو كمرآة لحال مصر في يومنا ، فنهنئ عليه ادارة الجامعة وكتبتها . ونستميح اذناً بابداء ملحوظ .

من لا يعرف الاستاذ عبد الرازق ورحابة صدره لاعتناق ما يراه موافقاً للمبادئ الصحيحة . على انه ادهشنا في كلامه على الحرية والمساواة من جانب واحد ، وفي تعصبه ومغالاته لحزبه من جانب آخر . قال (ص ١٥١) : « ان الحضارة المصرية على كل حال ترجع في آخر امرها اسلامية لا ينبغي ان تكون الا كذلك ولا تعتبر الا انها حضارة مصرية اسلامية » . ولكن اني الامكان الكلام على المدنية المصرية من غير الاقرار ان العنصر الاسلامي المحض فيها انما هو جزء جزئي ؟ اطرح من مجموعة مظاهر العمران والرقي الحالي في مصر كل ما يمتّ الى الصليب قرباً او بُعداً . اجل عن وادي النيل المسيحيين من غربيين وشرقيين وما اتوا به من التمدين . افلا تبرز المدنية الاسلامية فيها بحالة اشبه بما نراه في البلاد التي لم تطعم بالمصل الغربي ؟ نحن نحب المدنية العربية ونفاخر بها . ولكن على ان لا نتجاوز حدود المعقول في مفاخرتنا ! ولا عار على العرب ان قلنا فيهم انهم يعرفون ان يمزجوا بالمدنية الغربية امتزاج الصورة

بالمادة ومن الاثنتين تتكوّن شخصية فريدة بنوعها نفيسة منها تظهر المدنية العربية باجلى مظاهرها وايّاها فلا نحطّ من قيمة الشرق ولا الغرب.

ثم في كتاب « الحضارة المصرية » محاضرة على حالة الصحة للدكتور محمد شاهين باشا قال فيها: « اتى عصر الفرنسيس بقيام نابوليون الاول في سنة ١٧٩٨ بجملته على مصر. ويمكن اعتبار هذا الفتح مبدأ لتاريخ الصحة العامة في البلاد كما يعتبر مبدأ تاريخها الحديث وقد اصطحب نابوليون مائة من اعظم علماء فرنسة المجهزين بالكتب والآلات العلمية كما استحضر معه مطبعة عربية وادخل كثيرًا من الاصلاحات...» (ص ١٠٢)

فيرى الفرق بين لهجة ولهجة. وقد اصابت « الادارة » بقولها انها تترك لكل محاضر تبعة اقواله. ف. ت.

المناخ في العالم

بقلم محمود حامد محمد

المطبعة الرحمانية في مصر، ١٩٣٣، ق ٨، ص ٢٣٧

صاحب الكتاب مفتش ادارة المتيورولوجية في مصر، وعضو في الجمعية المتيورولوجية الملكية بلندن. صدر كتابه برسم ملك مصر، واشار الى مراجعه، ونشر الصور العديدة مساعدةً على فهم الشروحات الوفية الشائقة وفيها ما يستهوي فؤاد كل مطالع مشتاق الى الالمام بمعارف احوال المناخ، ولم يسبق المؤلف سابق في وضع كتاب باللغة العربية كهذا الكتاب.

قسم صاحب الكتاب مادته الى قسمين: في الاول تكلم على المناخ وعناصره وشروطه وتوغل في البحث على الهواء والفضاء والاشعة الشمسية والحرارة والضغط الجوّي في سائر طبقاته والاعاصير والرياح والتبخر والتكاثف والرطوبة والسحب والامطار والثلوج والعواصف والرعد... وانتقل الى القسم الثاني وفيه الكلام على المناخ في اقاليم الكرة الارضية.

وقد يكون هذا المؤلف جزيل الفوائد لمدرسي الجغرافية باللغة العربية، فنحثهم على اقتنائه. ف. ت.

محاولات في درس جبران

بقلم امين خالد

١٠٨ ص. متوسطة صغيرة – المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣

يذكر القرّاء الكرام تلك الابحاث التي نشرها الاستاذ امين خالد، فحاول فيها درس شخصية جبران خليل جبران متتبعاً مؤلفاته من «الاجنحة المتكسرة» الى «آلهة الارض». وها هو قد جمعها اليوم، واضاف اليها بحثاً طويلاً في «انشاء جبران»، وطبعها على حدة، مع مقدمة بقلم الاستاذ فؤاد افرام البستاني. ولما كان الموضوع من الاهمية بمكان، نرى من الموافق نشر القسم الاخير من هذه المقدمة، دلالةً على قيمة الكتاب النقدية :

«والحق ان الاستاذ امين خالد قام بهذا العمل بدقة موضوعية، واخلاص للحقيقة، وجرأة في عرض النتائج جديرة بكل ثناء.

«قد لا يوافقه المطالع في هذا الاستنتاج، وقد لا يقرّه على ذلك الحكم، وقد يراه مبالغاً في ذلك التخريج، وقد لا يوافقه في تعاريج درسه لانشاء جبران؛ ولكنه لا يسعه الا التسليم الذهني بقوّة التحليل، ودقّة النقد، والمقدرة على استيعاب جميع المظاهر والعود بها الى الاسّ الوحيد في ادب جبران، وهو ما دعاه «بالجوهر الفرد» دالّاً على آثاره الدائمة في جميع مؤلفات الكاتب، وان تفاوتت بروزاً وخفاء، من الحكايات الفنية، الى الآراء الفلسفية، من «الاجنحة المتكسرة» الى «النبي» الى «آلهة الارض».

«وما عسى القول في «يسوع ابن الانسان»، وقد حلّله الناقد المسلم تحليلاً افصح فيه عن آراء كثير من المسيحيين، وكشف بحكمه عليه تبعة طالما علقت بضمائر قادة النفوس تجاه هذا الكتاب، كما صرّح لنا غير واحد من رجال الاكليروس الكاثوليكي بعد ان اطلعوا في «المشرق» على «يسوع الانجيل ويسوع جبران».

«وبعد فهذه «محاولات» يعرضها الكاتب على ارباب النقد خطوطاً لتأليف صورة جبران، وحجارةً لبناء صرح شخصيته، ولهم الحكم الاخير في

صلاحها او فسادهـا . على انني أصارح الاديب منذ اليـوم بان سيكون من خطوطه ـــ وان فاجأ بعضها مألوفات الرسّامين ـــ ما يميز تلك الصورة؛ وسيكون من حجارته ـــ وان رفض بعضها البنّاؤون ـــ ما يجعل اساساً لزوايا ذاك الصرح.

لامرتين

بقلم الياس ابو شبكه

٩٤ ص متوسطة صغيرة - مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٣٣

بمناسبة مرور مـائة سنة على رحلة لامرتين الى الشرق ، رأت مكتبة صادر ان تعرّف الشاعر الى اهل الشرق فكلّفت الاديب الياس ابو شبكه ، فاسرع في وضع هذا الكتيّب المختصر ، مارّاً فيه على ترجمة الشاعر وآثاره الادبية والسياسية ، خاصاً بشيء من الاطناب رحلته الى الشرق ، معرّباً بعض المقـاطع من مذكراته المعروفة. والكتاب جميل المظهر ، حسن الطبع ، يُقرأ بسهولة.

تاريخ ما اهمله التاريخ — الحلقة الاولى : الضحايا

تأليف حبيب جاماتي

مطبعة موسى البابي الحلبي واولاده في مصر ، ١٩٣٣ ، ص ٢٩٥ ، ق ١٢

هو الكتاب الاول من مجموعة سوف تظهر سائر حلقاتهـا في المستقبل ، ومن الكتاب الاول يمكن التكهّن على ما سوف يكون الباقي.

«في ميدان التضحية متسع للجميع.» هي كلمات سعد زغلول رواها المؤلف في اول قصة البطل المجهول ، ذلك الفتى الذي تعرض للموت وقضى نحبه فداء المصلحة الوطنية في مصر فجأة. مثال التضحية بمعناها العالي الاسمى.

وقد وددنا لو وجّه الكاتب جهوده خصيصة الى تلك الناحية من المرمى في كتابته قصصه فتكون اكثريتها من امثـال قصة البطل المجهول ، فيمكن من ثم ان توضع بين ايدي الاولاد في المدارس ويتمنحهـا لا الاديب الناضج فحسب ولكن كل فتى احبّ ان يقطف من قراءته اثاراً ادبيـة من غير ان يعنى بتمحيصها ليفرق فيهـا بين الغث والسمين. والمؤلف الحصيف ادرى بان

القصص الادبية لا تستوفي حقوقها الا بان تترك في نفس القراء لا حسن المبدأ فحسب ، ولكن حسن التأثير ايضاً. وحسن التأثير يأبى مشاهدة اشباح الرذائل ولو مجسمة في اجسام تاريخية ، لان منظر الرذيلة والحديث عنها مما يولد بعض العدوى في النفوس . سامحنا المؤلف الكريم مناقشتنا هذه ، ولكن لم يكن بدٌّ منها ، ونحن عند اول حلقة من « تاريخ ما اهمله التاريخ » حتى اذا ظهرت سائر الحلقات لم نرَ فيها الا كلّ صالح وحسن ، جدير بالتشجيع والثناء .

ف . ت .

الكوخ الهندي

نقله الى العربية الياس ابو شبكه

٦٢ ص متوسطة صغيرة – مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٣٣

وهذا الكرّاس ايضاً من تعريبات الاديب ابو شبكه. نقله عن برناردين د. سن بيير ، من ادباء فرنسة في اواخر القرن الثامن عشر. وهذه ، في ما نعلم ، الترجمة العربية الثانية للكوخ الهندي ، وقد نشر الاولى فرح انطون صاحب مجلة « الجامعة » في مصر .

مرشد الوعّاظ والكتّاب الى كنوز آيات الكتاب

للارشمندريت بطرس ابي زيد

الجزء الثاني . قطع ٤ ، ص ٥١٧ – مطبعة القديس بولس ، حريصا ، ١٩٣٣

افاض « المشرق » سابقاً (ص ١٥٦ من مجلد هذه السنة) في الكلام على فوائد هذا الكتاب القيّم الذي جمع فيه المؤلف ، على طريقة الحروف الابجدية ، كل ما تهمّ الوعّاظ والكتّاب معرفته من آيات الكتاب الكريم ، فاتى مورداً سهلاً « وكنزاً » ثميناً . وكان قد وقف في الجزء الاول في اخر حرف « الضاد » فاتمّ الفهرس في هذا الجزء . من « الطاء » الى « الياء » ، سائراً على الاسلوب الموصوف سابقاً ، ممتازاً بجميع الصفات التي اشرنا اليها .

الرحلة الدانتية في الممالك الالهية : ٣ النعيم

تعريب لادبفينا كوميديا بقلم عبود ابي راشد

٣٠٤ + ٣٠ صفحة متوسطة — طرابلس الغرب ، سنة ١٩٣٣

هو الجزء الثالث من ملحمة دانتي الشهيرة خصّه الشاعر الخالد « بالنعيم » ، فسار فيه من دائرة الى دائرة يشاهد القديسين والابرار ، الى ان يصل صحبة القديس برنردوس امام العذراء الطاهرة فيرجو منها القديس ان تستمدّ للشاعر النعمة كي يرفع بصره الى الاعالي فيتمكن من مشاهدة الله. وقد نحا فيه المعرّب نحوه في تعريب الجزءين السابقين اللذين تقدّم وصفهما في « المشرق » (٢٨ [١٩٣٠] ٧١٦ و٣٠ [١٩٣٢] ٣١٨) مدققاً في التعريب ، معلقاً بعض الحواشي الضرورية ، مقدماً على ذلك كلمة في طريقة عمله. وقد اضاف الى هذا الجزء ، كما اضاف الى سابقه ، طائفة من رسائل عظماء ايطالية وردته تشجيعاً وتقريظاً فنشرها بالعربية والايطالية ، وزيّن الكتاب برسمه وبرسم دانتي.

Feu le Professeur Carl H. Becker de Berlin, un des plus profonds connaisseurs de la littérature et de l'histoire mahométanes, a laissé une importante et précieuse bibliothèque sur l'Orient, qui sera vendue en bloc. Nous apprenons que la librairie Joseph Baer et C°., à Francfort S. M. Hochstrasse 6, est chargée de la vente.

ان المرحوم الاستاذ شارل هـ. بيكر البرليني ، احد المتضلّعين من الادب والتاريخ الاسلاميين ، قد ترك مكتبةً مهمّة ثمينة ، في ما خصّ الموضوعات الشرقية ، وسيباشر بيعها بكاملها دفعةً واحدة. وقد علمنا ان قد كُلّف القيام بهذا المبيع الكتبي جوزف باير المقيم في فرانكفورت ، بالعنوان اعلاه.

* مكتبة الهلال * لصاحبيها ابراهيم زيدان وولده ، شارع الفجالة ، مصر. — قائمة الكتب الادبية لسنة ١٩٣٣-١٩٣٤ ، تُرسل مجاناً لمن يطلبها.

* فهرس شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر سنة ١٩٣٣ * بسراي رقم ١٢ شارع التبليطة بجوار الازهر ، صندوق بوسطة الغورية رقم ٧١ — يُرسل مجاناً.

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ايار — ١٥ حزيران ١٩٣٣

لبنان وسوريا — منحت بعض الاوسمة اللبنانية الى فريق من المهاجرين في المكسيك وكولومبيا. ومُنحت كذلك بعض الاوسمة اللبنانية والسورية الى رهط من كبار الموظفين في مصر.

* تمت بنجاح تجربة الخط التلفوني بين بيروت والقاهرة.

* ظهرت بوادر العجز في الموازنة السورية فأخذت الحكومة تهتم بانقاص عدد الموظفين.

* قامت جمعيات الصليبية القربانية بحفلة فخمة في بيروت جمعت نحو ثلاثة آلاف صليبي وصليبية.

فلسطين — قام اليهود ببعض مظاهرات ضد المانية.

* اخذت الحكومة بجلاء عرب وادي الحوارث عن ارضهم.

شرق الاردن — عُقد في عمان مؤتمر لدرء اخطار الصهيونية التي تهدّد فلسطين وشرق الاردن.

العراق — سافر الملك فيصل الى اوربة مارًا بعمّان فمصر.

ايران — اذاع قنصل ايران ان التاريخ الهجري المستعمل رسميًا في بلاده هو التاريخ الهجري الشمسي لا القمري. ويكون بطرح ٦٢٢ من التاريخ المسيحي.

الحجاز — بويع الامير سعود، اكبر انجال الملك ابن سعود، وليًا لعهد المملكة العربية السعودية.

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول : يوسف ماهر